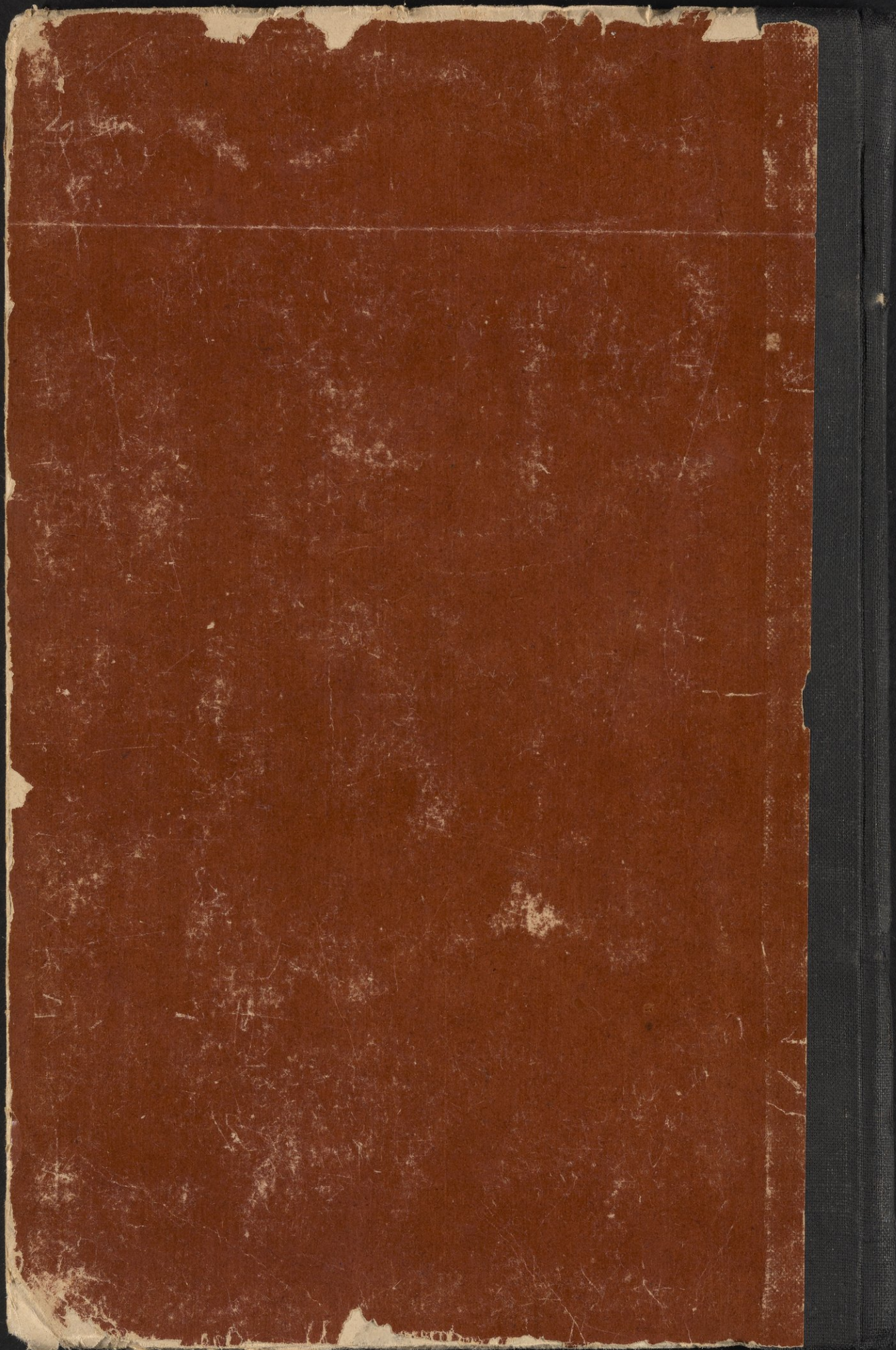




ابو جعفر احمد بن يوسف

H1

B J

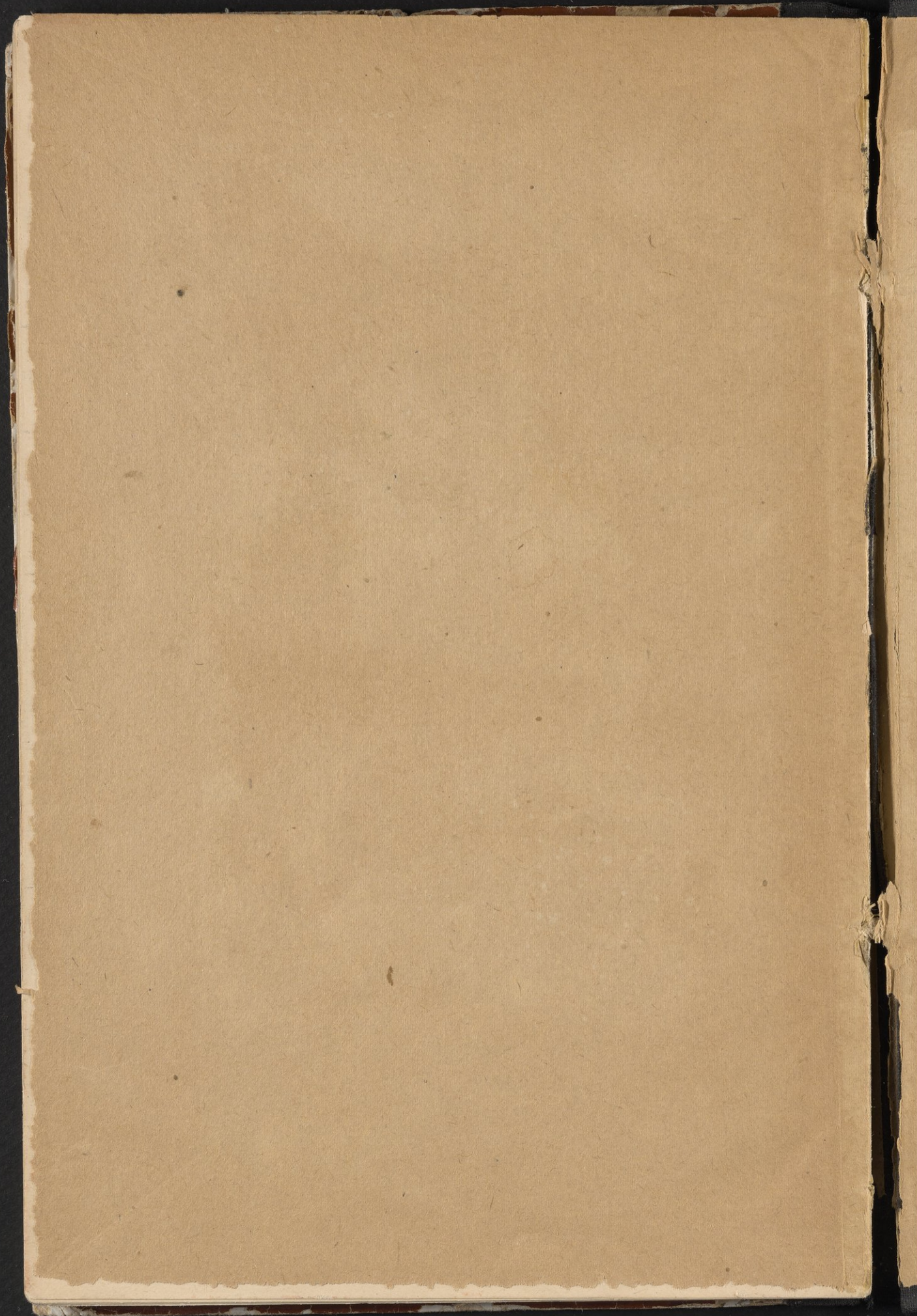
1597

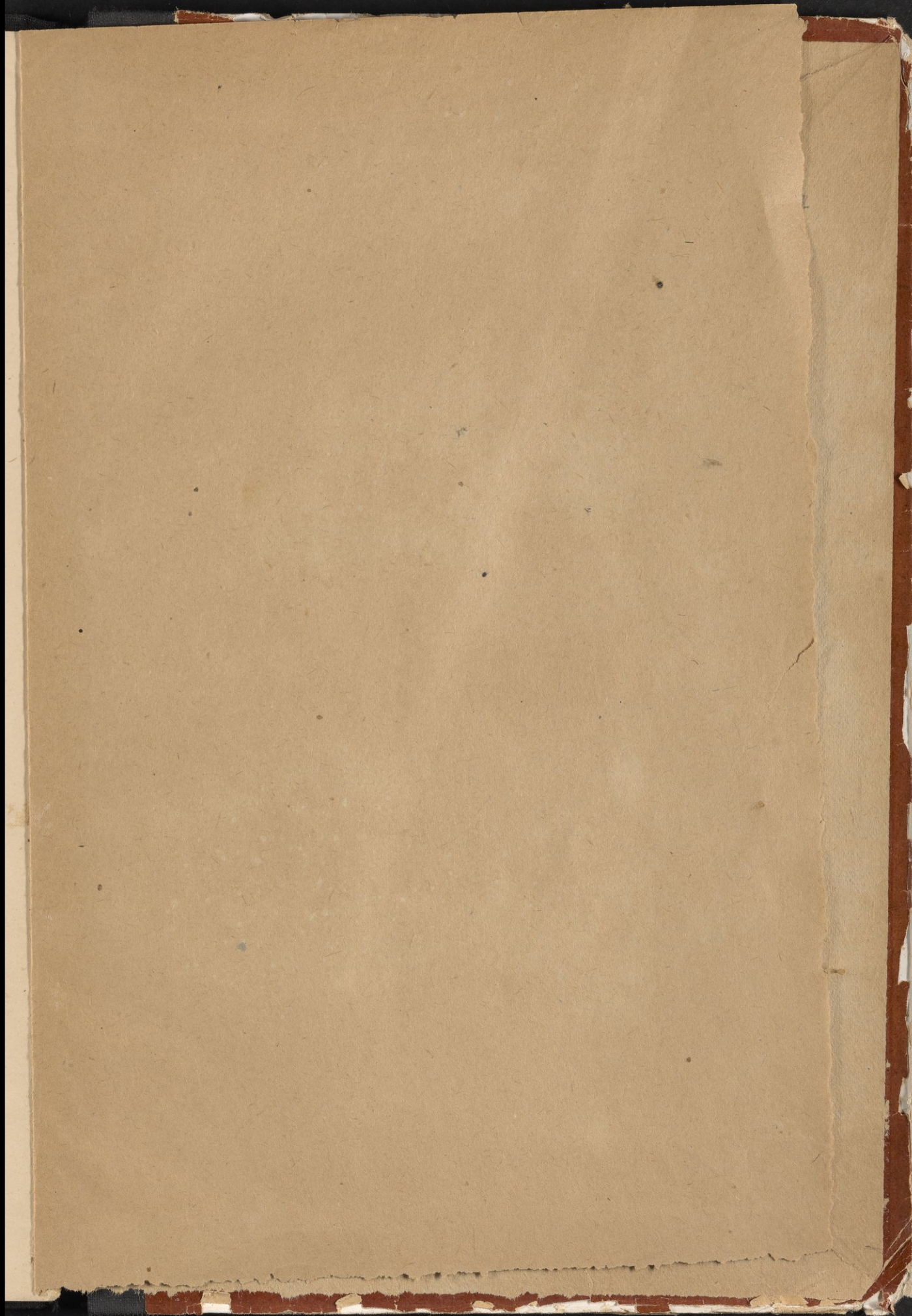
I 2

1914

5 Cres.

"H1"





فهرس كتاب المكافاة

« ومقدمة الناشر »

قال معلم الناس الخير:

« من صنع اليكم معروفا فكافئوه »

« فان لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له بخير »

« حديث شريف »

فهرس مواضيع الكتاب

رقم	اهداء الكتاب	صفحة
	مقدمة الناشر	ز
	بيان عن النسخة الاصلية	ح
	ترجمة المؤلف	ى
	خطبة الكتاب ومقدمته	يب
	القسم الاول — المكافاة على الحسن	
١ —	حديث خالد القسرى وديوانيه	٤
٢ —	» ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن	٦
٣ —	» احمد بن دعيم واعرابان	٧
٤ —	» موسى بن مصالح ومحبوس	٩
٥ —	» اسماعيل بن اسباط والحناق	١١
٦ —	» مسلمة بن عبد الملك ومحمد بن على جدا خلفاء العباسيين	١٤
٧ —	» اسحاق بن نصير العبادى ووراق	١٥
٨ —	» ابن الزنق النخاس والقاسم بن شعبة	١٦
٩ —	» هارون بن ملول واسحاق بن تميم	١٨
١٠ —	» المؤلف وأعراب من القيسية	٢٠
١١ —	» المؤلف وعباسى من ولد المأمون	٢١
١٢ —	» يحيى بن نجه وعمر بن فرج الرخجى	٢٣

رقم	صحيفة
١٣ —	يوسف بن ابراهيم والد المؤلف ومصطفيه ٢٥
١٣ —	المؤلف وبعض التجار (الرقم مكرر) ٢٦
١٤ —	احمد بن بسطام وصاعد ٢٧
١٥ —	حديث نجاح بن سلمة واسحاق بن تميم ٢٩
١٦ —	محمد بن يزيد ومسافر «أحد المتلصقين» ٣١
١٧ —	أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٣
١٨ —	احمد بن أبي عصمة الكاتب واحمد بن طعان ٣٥
١٩ —	نصراني (من أرياف مصر) ومستتر ٣٦
٢٠ —	يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن سهل ٣٩
٢١ —	على المتطبب وبعض ولد افلاطون ٤٢
٢٢ —	المؤلف وأبو علي محمد بن سليمان ٤٣
٢٣ —	المؤلف وسوار بن أبي شراعة الشاعر ٤٤
٢٤ —	علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٤٥
٢٥ —	يوسف بن ابراهيم ورجل من أشرف الطالبيين ٤٧
٢٦ —	موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٤٨
٢٧ —	تاجر وزوجته ٤٩
٢٨ —	هرثة بن أعين والرشيد ٥٢
٢٩ —	أبي يوسف القاضي والرشيد ٥٣
٣٠ —	أبي يوسف القاضي وبذل جارية الرشيد ٥٤

رقم	صفحة
٣١ —	» المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٥٦
	خاتمة هذا القسم في الكلام على حسن المكافأة ٥٦
	القسم الثاني - المكافأة على القبيح
١ —	حديث ملك الهياطلة وفيروز ملك الفرس ٥٧
٢ —	» محمد بن عبد الملك الزيات والمتوكل العباسي ٦١
٣ —	» ابن سليمان كاتب شقير الخادم وجلاد ٦٣
٤ —	» أبي عبد الرحمن العمري وغلماؤه ٦٤
٥ —	» عامل متسلط وجماعة من الخوارج ٦٥
٦ —	» أحد عمال الصدقة ومتظلم ٦٦
٧ —	» عدي بن زيد والنعمان بن المنذر ٦٦
٨ —	» رجل من أشرف المدينة ورجل من أولياء الامويين ٦٨
٩ —	» مولى لابي العباس ورجل من رؤساء الامويين ٦٩
١٠ —	» أحد الاكسرة وولده ٧٠
١١ —	» خالد بن سهم ومروان بن محمد الجمدي ٧٠
١٢ —	» احمد بن طولون واحمد بن المدبر ٧٢
١٢ —	» احمد بن المدبر ومتقبل (الرقم مكرر) ٧٦
١٣ —	» خمارويه بن طولون ومحمد بن أبي الساج ٧٧
١٤ —	» أحد قرابة ابن يعفر وعجوز يمانية ٧٨
١٥ —	» الخيزران أم الرشيد وامرأة هشام بن عبد الملك ٧٩

رقم	صحيفة
١٦ —	اليون وميخائيل ملكا الروم ٨٠
١٧ —	سيف بن ذي يزن ومتغلب على مملكته ٨٤
١٨ —	كاتب أبي الوزير وجماعة من العمال ٨٦
١٩ —	حديث ابن الأبرد وكتبه ٨٧
٢٠ —	عمرو بن العاص ورعية من القبط ٨٧
٢١ —	الدفاني والحناق ٨٨
القسم الثالث — حسن المقي	
١ —	حديث ابني عمر الأخباري وغلالم يتشطر ٩١
٢ —	رجل اختلت حاله وعباس بن خالد البرمكي ٩٤
٣ —	أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي ٩٧
٤ —	علي بن سند وأبي الجيش ثابت ٩٨
٥ —	محمد بن صالح الغوري ولص ٩٩
٦ —	مصقلة بن حبيب ومعن بن زائدة ١٠٠
٧ —	جيش بن خمارويه واعمامه ١٠٢
٨ —	رجل من تجار مصر وأحد ملوك الهند ١٠٣
٩ —	الفضل بن يحيى البرمكي وشامي ١٠٥
١٠ —	يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر ١٠٧
١١ —	إبراهيم بن العجمي وابني موسى بن شاكر ١٠٩
١٢ —	محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي ١١٠

رقم	صحيفة
١٣ —	المرايطين باقريطش وجيش من الروم » ١١٢
١٤ —	سهل بن شنيف واحمد بن بسطام ١١٣
١٥ —	المؤلف واحمد بن بسطام ١١٤
١٦ —	حديث قابلة أولاد خمارويه وأختها ١١٦
١٧ —	سند بن علي وابن سعيد الجوهري ١١٩
١٨ —	جبريل بن بختيشوع والرشيد ١٢٤
١٩ —	عمرو بن عثمان الكاتب والرشيد ١٢٥
	الخاتمة في حكم مأثورة في الشدة والرخاء ١٢٦



اهداء الكتاب

ولو كان يهدى للكريم بقدره * لقصر فضل المال عنه ونائله

ولكننا نهدي الى من نعزّه * وان لم يكن في وسعنا ما يعادله

سعادتلو افندم احمد زكى باشا كاتب أسرار مجلس النظار

سيدي وصل الى نسخة من كتاب « المكافأة » لابي جعفر احمد بن يوسف الكاتب المصرى . فماعتمت أن تصفحته إلا وعقدت النية على نشره بين

أبناء وادى النيل . لا اعتقادي بانى ظفرت بدرّة من تاج الدولة الطولونية لا تقوم وقد أنعمت النظر فى كفوء أرفأ اليه هاته البكر ، وأقدم اليه تلك الدرّة ، بعد

أن جلوتها على منصة الطبع ، وحليتها باشارات « الترقيم » الجليل الوضع

فما هو إلا أنت ذلك الكفوء الكريم

ألست الآخذ بيد الآداب العربية ، فاحييت مواتها . والمقرب منها البعيد ،

فواتك بعد فواتها . أهل غيرك محي « مسالك الامصار » بعد طموسه ، ومنيل

الامة المصرية « نهاية الارب » الذى آبتسم لها النويرى بعد عبوسه ، هذا « التاج »

عقدته على هامة مصر ، فهاته درته . وتلك فرسان « الخيل » تتسابق فخرأ

بوادى النيل ، واليك حليته

فلنبتهل جميعا بدوام دولة الامير المحبوب خديوم مصر المعظم « عباس باشا حلى الثانى »

حيث أجلك قدرك ، فاحلك سر مجلس نظاره . فلا برحت مصر ملجأ الامة العربية

مشمولة بسامى أنظاره

القاهرة فى ١٠ القعدة سنة ١٣٣٢ ٦ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٤

امين عبد العزيز

مقدمة الناس

اعتاد المستشرقون (الاختصاصيون بنشر العلوم العربية من نبغاء
الافرنج وعلماهم) ولعمت العادة . البحث عن أحوال الكتب التي
يخدمون بطبعها المجتمعات العلمية ، بحثا يشف عن شدة عناية في العلم ،
وشغف باظهار الحقائق . فيقدمون أمام تلك الكتب المقدمات التي
يعلم منها حال المؤلف ومؤلفه وحالة العلم في العصر الذي ألف فيه
والقوائد الفرعية المستترة خلال فصوله الأصلية . ثم يذيلونها بالتعليق
والفهارس . فلا يفوتهم من الكتاب صغيرة الا احصوها ، ولا
كبيرة الا تبينوها ، حتى كان لهم من نتائج تلك المقدمات الاهتداء
الى تدوينهم تاريخ آداب العلم^١ . ومن تلك التعليقات والفهارس الوقوف

(١) تاريخ آداب العلم : بهذا الاسم أو بما هو من معناه . قالوا : تنبه لوضعه ابتداء
أواقتداء علماء الافرنج في نهضتهم العلمية الاخيرة . فما من فن من العلم الذي أخذوا
به الا ولهم في تاريخ آدابه الكتاب والكتابان حتى المستشرقون منهم فان لهم
في تاريخ آداب اللغة العربية بل في كثير من العلوم العربية التي عنوا بدراستها
وتفهمها أكثر من كتاب .

ومن الأسف أننا على سابقتنا في العلم نجهل ان لاسلافنا سبق الوضع فيه
وان كان بغير هذا الاسم أو لغير هذا المعنى . وضعه علماء الحديث بعد المائة الثانية
حينما كثرت البدع فتشعبت لذلك الاهواء ، وافترقت الاراء . وقام كل فريق
ينتصر لنحلته ، ويذب عن طريقته . بما يتقوله على لسان صاحب الشريعة فيلصقه

على حقائق الأشياء .

بالدين . فقام يوهئ علماء الأمة ، وحفظت السنة ، خوفا من الاسترسال في النقي ،
والتمادي في الباطل . ينقبون عن صحيح الاخبار ومعقولها ، وسنن الأفعال
ومنقولها . فتميز لهم الصحيح من الموضوع ، والموقوف من المرفوع ، والشاذ
والمهمل ، والمعضل والمرسل ، والناسخ والمنسوخ ، والحكم والمتشابه . حتى عرفوا
الواضع وعلة وضعه ، والمتهم وشبهة تهمة . فصح لهم تدوين ذلك العلم على أتم
شروطه . حتى أن كل من كتب بعدهم في تاريخ آداب علم ما كان عالة عليهم .
يقتدى بآدابهم ، ويأخذ على نسقهم .

وأول من كتب في الاسلام في تاريخ آداب العلم عموما عدا علماء الحديث
ابن النديم في الفهرست ثم أخذ الناس في التوسع بوضع الموسوعات في موضوعات
العلوم فكتب الطوفي البغدادي في تاريخ تراجم المؤلفين في الاسلام ومؤلفاتهم
كتابا حافلا يأتي في ثمان مجلدات . ثم أتى في المائة العاشرة طاش كبرى زاده فوضع
كتابه مفتاح السعادة في موضوعات العلوم على النحو الذي وضعه ابن النديم .
ثم تلاه كاتب جلي فوضع كتابه كشف الظنون . وهذان الكتابان طبع الأول
منهما في المطبعة النظامية بحيدرآباد الدكن وطبع الثاني منهما بلييسك وصر والاسطوانة
وطبع كتاب الفهرست في لييسك وأما كتاب الطوفي فقد حكي لى اسماعيل افندي
(حافظ الكتب بالمكتبة الحميدية السكّانة بميدان بيازيد في الاسطوانة وكان من فضلاء
الأتراك المنقبيين عن الكتب النافعة) : انه اطلع على مجلدات منه في إحدى دور الكتب
بالاسطوانة . وقد اطلعت على مؤلف في أربع مجلدات كبار وضعه (سعادة الميرالاي
اسماعيل باشا البغدادي الاصل الاسطوانة لى المولد والدار) في أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم
وعلى ذيل لكشف الظنون له أيضا في مجلدين وذلك بالاسطوانة العلمية سنة ١٣٢١ هجرية
وفارقتة وهو يحيا فيها وقد جاوز السبعين .

وإني وإن كان كتابي هذا الذي أظهره لقراء العربية يعدّه أكثر مطالعيه من كتب السمر والأخبار التي تُراد للتلهي . لكنني سأجتهّد في الباسه ثوبا من الحقيقة التي أُرادها مؤلفه منه ، وأبيّن للقليّلين من رواد العلم كبير فائدته ، وأنه شعبة من التاريخ الذي يعوزنا مطالعته ، ودرس من دروس الاخلاق الذي يهمننا الأخذ به ، وقاعدة من فن الكتابة التي يلزمنا التمثّل بها .

فها انا ابدأ بالبيان عن النسخة الأصلية ، ثم التعريف بالمؤلف ومكانته من العلم ، ثم بالكتاب .

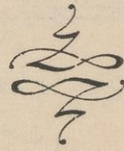
النسخة الأصلية

كتاب المكافأة — لأبي جعفر احمد بن يوسف الكاتب ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ونقله عنه ياقوت في ارشاد الاريب في الج ٢ ص ١٥٧ . وذكره الخزرجي أيضا في الج ١ ص ١٩٠ من كتابه عيون الانباء وفي هذا كفاية لصحة اسناد الكتاب لمؤلفه .

وصلت الى نسخة الاصل من أحد باعة الكتب ببابلس مجلّدة بقطع الربع في أحد عشر كراسة كتبت فيما أظن ما بين أواخر المائة الخامسة وأوائل السادسة لاتعداهما وقد تبين لي ذلك من صناعة الخط التي اعتادها خطاطي تلك المصور كاهمال الاعجام غالبا والترسم بالحركات فوق الحروف وأسفلها وعلامات الوقوف التي كانت مستعملة اذذاك ثم جنس الورق الذي يندر وجود كتاب به كتب بعد السادسة .

ويظهر من تألق الكاتب بتقويم سطورها . واتقان الوراق لها انها كتبت
لدى عناية بالكتب أو لخزانة عظيم من الأمراء .

وقد اجتهدت في الحصول على نسخة ثانية منه لتصحيح ما عساه
ان يكون محرفاً أو مصحفاً وتصفحت لذلك أكثر فهارس دور الكتب
بالاستانة ودار الكتب الخديوية بمصر والمكتبة الاحمدية بحلب والمكتبة
العمومية بدمشق فلم أجد ذلك .



ترجمة المؤلف :

التعريف بالمؤلف يحتاج الى عناية في البحث ، ودقة في التنقيب ،
ورجوع الى من يوثق بنقله ، ليكون أثلج لصدر مطالع كتابه .
وأوثق به عند نفسه .

ولقد بحثت في كثير من كتب التاريخ الاسلامي المشتمل على
أخبار العباسيين ورجالهم لانتساب والده لخدمة ابراهيم بن المهدي
وصحبه اياه . فظفرت بأخبار متفرقة علمت منها حالة والده المادية
والأدبية ، والسفر في انتقاله عن بغداد « وطنه الأصلي » واختياره
مصر لسكناه . واطلعت أثناء ذلك أيضاً على الكثير من الأخبار التي
دوّنوها المؤلف عن العباسيين وذويهم علمت منها صحة إخباره وثقة نقله .
ولكنني وجدت ذلك لا يصح تدوينه باسم ترجمة كاتب مؤرخ يريد
الوقوف على حياته العلمية .

فرجعت الى المعاجم الموضوعة لتراجم رجال الادب وحملة العلم
أتبّع المظان فوجدت أبا عبد الله ياقوت الحموي أحد أئمة التاريخ في
القرن السادس وقد أخذ على عهده أن يدوّن في كتابه معجم الأدباء
« حسب ما شرط فيه على نفسه » أخبار من عرف بالتصنيف ، وشهر
بالتأليف ، وصحت روايته ، وشاعت درايته . من مشهورى القراء ،
والمبرزين من الكتاب والادباء ، والأئمة من اللغويين والنحاة ،
والمعروفين من المؤرخين وأصحاب الاخبار . فكان من بينهم أحمد بن

يوسف ووالده يوسف بن ابراهيم ذكرهما معاً في ترجمة واحدة . اعتمد
في نقله عن الحافظ ابن عساكر في تاريخه « تاريخ دمشق » ثم تعقبه بما
نقله من خبر أحمد بن يوسف فقط عن ابن زولاق .

ولما كان لياقوت المسكنة من الثقة ، وتحويل أهل العلم على
خبره . أخذت تلك الترجمة كما هي وجعلت بعض ما التقطته من غيره
كالتصحيح والايضاح ، مع التصريح بذكر المنقول عنه . ولعلني
أكون بذلك قد أرحت البعثة من عناية المراجعة ، ووفرت عليه الثمين
من الوقت .

قال أبو عبد الله ياقوت الحموي في الج ٢ ص ١٥٧ من كتابه
ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء .

أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم يعرف بابن الداية^(١) .
كان أبوه ولد داية ابن المهدي . وأظن أن المعروف بابن الداية هو
يوسف الراوي أخبار أبي يونس والله أعلم .

وكان أبوه يوسف بن ابراهيم يكنى أبا الحسن وكان من جلة
الكتاب بمصر ولا أدري كيف كان انتقاله اليها عن بغداد . وكان له
مروءة تامة ، وعصبية مشهورة .

(١) الداية الظئر « أى المربية » قال الفرزدق : ربيعة دايات ثلاث ربيبتها .
وكونه هو هو ابن الداية مما لا خلاف فيه فقد عرفه بذلك ابن النديم في الفهرست
ص ١٦٠ وابن جليل في أخبار الأطباء فيما حكاه عنه الخزرجي في الج ١ ص ٧٧
من عيون الأنباء .

قال أبو القاسم المساكري الحافظ : يوسف بن ابراهيم أبو الحسن
الكاتب وأظنه "بغداديا كان في خدمة ابراهيم بن المهدي . قدم
دمشق سنة ٢٢٥" وحكى عن عيسى بن حكم الدمشقي الطبيب
النسطوري . وشككة أم ابراهيم بن المهدي . واسماعيل بن أبي سهل
ابن نوبخت . وأبي اسحق ابراهيم بن المهدي . وأحمد بن رشيد
الكاتب مولى سلام الابرش . وجبرئيل بن بختيشوع الطبيب .
وأيوب بن الحكم البصري المعروف بالكسروي . وأحمد بن هارون

(١) كونه بغداديا ممالا يشك فيه فقد ولد ببغداد حوالي سنة ١٨٠ وربي في
دور الخلفاء العباسيين المهدي وولديه الرشيد و ابراهيم ابن المهدي لان والدته
كانت داية ابراهيم بن المهدي وكان هو رضيع المعتصم بن الرشيد حتى انه تزوج
اليهم فان امرأته بنت مجونة مولاة حمدونة أم محمد بنت الرشيد وكانت هي
وبنتها بصحبته في مصر

وقول ياقوت: «ولا أدري كيف كان انتقاله اليها عن بغداد» . فقد تبعت
سيرته فوجدته كان يتولى كتابة اقطاعات ابراهيم بن المهدي مخدومه وكان معه
(بسر من رأى) حيث يسكن ابراهيم بن المهدي الى سنة ٢٢٥ وفيها في أوائلها أو
في أواخر سنة ٢٢٤ توفي ابراهيم بن المهدي وقد اشتدت وطأت قواد الاتراك في
خلافة المعتصم وضعف شأن موالهم من العرب ومصر بلد زراعية وافرة الخراج
كثيرة الاقطاعات بعيدة عن ضوضاء القواد وشغبهم وكان على خراجها ابن المدبر
ورصفاءه في الكتابة فشخص اليها بعياله وحاشيته يتقبل بها الضياع من أصحاب
الاقطاعات ومن يومئذ عرف يوسف بن ابراهيم المصري صاحب ابراهيم بن المهدي
وعاش بمصر الى بعد الستين والمائتين اه ما خصص من الطبري والطيفوري وابن الاثير .
(٢) قدومه دمشق سنة ٢٢٥ حكاها هو في كتابه أخبار المتطببين وقد نزل بها على
عيسى بن حكم المذكور نقل ذلك الخزرجي في الج ١ ص ١٢١ من عيون الانباء .

الشرابي . روى عنه ابنه أبو جعفر أحمد . ورضوان^(١) بن أحمد بن جالينوس . وكان من ذوي المروآت . وصنف كتابا فيه أخبار المتطببين . « قال ياقوت » قال الحافظ : وبلغني عن أبي جعفر أحمد بن يوسف . قال حبس أحمد بن طولون يوسف بن ابراهيم والذي في بعض داردوذ كالحكايتان الـ ١٣ والـ ٢٥ اللتان ذكرهما المؤلف في القسم الاول من المكافاة . ثم قال ياقوت فقال : (أى الحافظ ابن عساكر) : أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم يعرف بابن الداية من فضلاء أهل مصر ومعروفهم ، وممن له في علوم كثيرة : في الأدب ، والطب ، والنجامة ، والحساب ، وغير ذلك . وكان أبوه أبو يعقوب كتب ابراهيم بن المهدي ورضيعه^(٢) ألف كتابا في أخبار الطب . مات أحمد بن يوسف في سنة نيف و ٣٣٠ وأظنها سنة ٣٤٠ وله من التصانيف سيرة أحمد بن طولون^(٣) . كتاب سيرة أبي الجيش خمارويه . كتاب سيرة هارون ابن أبي الجيش وأخبار غلمان بني

(١) رضوان بن أحمد هذا روى عنه كتابه الذي وضعه في أخبار مخدمه ابراهيم ابن المهدي وعنه صاحب الاغانى وعرفه بيوسف بن ابراهيم المصرى صاحب ابراهيم بن المهدي . راجع المجلد الـ ١ والـ ٤ والـ ١٤ من الاغانى .
(٢) لعل ذلك سهوا فقد تقدم انه رضيع المعتصم حكى ذلك ولده في المكافاة .

(٣) هذان الكتابان ذكرهما صاحب المغرب عن ابن زولاق ونصه : قال ابن زولاق « كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم الكاتب قد عمل سيرة أحمد بن

طولون . كتاب المكافاة . كتاب حسن العقبي ^١ . كتاب أخبار
الاطباء . كتاب مختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى . كتاب
ترجمته . كتاب الثمرة . كتاب أخبار المنجمين . كتاب أخبار ابراهيم
ابن المهدي ^٢ . كتاب الطيخ .

قال ياقوت وذكره ابن زولاق الحسن بن ابراهيم فقال :
كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتنان ، أحد وجوه الكتاب
الفصحاء ، والحساب والمنجمين ، مجسطى ، أقليدسى ، حسن المجالسة
حسن الشعر ، قد خرج من شعره أجزاء . دخل يوما على أبي علي
الحسن بن المظفر السكري عامل خراج مصر مسلما عليه . فقال له :
كيف حالك يا أبا جعفر . فقال على البديهة :
يكفيك من سوء حالي أن سألت به * انى على طبرى في الكوانين
آخر ما كتبه ياقوت

طولون امير مصر وسيرة ابنه ابى الجيش وانشدا في الناس وقرأتهما عليه وحدثت بهما
عنه مع غيرهما من مصنفاته ثم عملت انامقافته من سيرتهما » . ثم ذكر الاول منهما ابن
خلكان في ترجمة احمد بن طولون . (١) كتاب حسن العقبي : ذكره الخزر جى
في الـ ج ١ ص ٢٠٧ في ترجمة يعقوب بن اسحق الكندى (٢) هذان
الكتابان : كتاب أخبار ابراهيم بن المهدي . وكتاب الطيخ . ذكرهما المؤلف
انهما والوده راجع المكافاة ص ١١٥ ورواهما عنه أبو علي الحسن بن المظفر السكري .

المكافأة

لابي جعفر احمد بن يوسف الكاتب
أحد كتاب « الدولة الطولونية » بمصر

—••—

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٢هـ
١٩١٤م

بنفقة المكتبة الادبية الكائنة بشارع الحلوجي بمصر
ومحمود توفيق الكتبي

=====

عني بتنسيق وضعه وتصحيح طبعه وتعليق حواشيه
وتفسير غريبه ، امين عبدالعزيز ، وحقوق اعادة الطبع محفوظة له

.....
المطبعة الجمالية — بمصر

B19078122

E16912214

BJ

1597

T2

1914

scies

"H1"

تنبيه للمطالع

أولا : ان الكلمات أو الحروف المحاطة هكذا [] هي بدل كلمات

أكتتها الارضية من النسخة الاصلية أو لم تتبين لنا لثقة طبع فيها .

ثانيا : ان الاعلام التي بازائها نجمة اشارة الى أن هذا الاسم

مدرج في فهرس الاعلام مع توضيح عنه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني * قراءة مني عليه . قال : اخبرنا
أبو جعفر احمد بن يوسف الكاتب ، قراءة مني عليه . قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَاحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَاكَ مُهِمَّكَ . إِنَّ أَشَدَّ
عَلَى الْمُتَحَنِّينَ مِنْ مُحَنَّتِهِ ، عَدُوُّهُ فِي سَعْيِهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ، وَتَنَكُّبُهُ^١
الصَّوَابَ فِي بَغْيَتِهِ ، وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَذْوَى مَا تَنَزَّلَ بِهِ
عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرُبُ مَعَهُ مَا اسْتَصْعَبَ مِنْهَا ، تَسْتَثِيرُهُ حَسَنُ الرُّوْيَةِ ،
[وَيَقْرُبُ إِلَيْهِ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ

وقد رأيتك لا تزيد من رغبة اليه فيما تحدوه على برك ، وتحته
لما أغفل من أمرك ، على نصِّ مكارم من سلف . وترى انه يهش
الى مساجلتهم ، فلا يبلغ في هذا أكثر من احراز الفضيلة للمرغوب
اليه ، ولا يوجد في الراغب فضيلة تحته على شفيق قصده . ولو عدلت
عن مكارم من رغب اليه ، الى حسن مكافأة من أنعم عليه ، لكانت
لك ذرائع يمت^٢ بها الراغب يوجد المرغوب اليه سبيلا الى الانعام ،

(١) تنكَّبَ ونكَّبَ ونكَّبَ : بمعنى عدل وتنحى لازم متعد . (٢) المنة :
التوسل بقربة أو حرمة .

وينفسح أمله في موآرة^١ الاحسان ، ولم يؤت الجود من مأنى هو
أغمض من مغادرة حسن المكافأة .

ولو أنعمت النظر فيها : لوجدتها اقوى الاسباب في منع القاصد ،
وحيرة الطالب . ولو كانت توجد مع كل فعل استحقها ، لآثر الناس
قاصديهم على أنفسهم ، ولجروا على السنن المأثورة عنهم .
[وانى أثبت] فى هذه الرسالة اخباراً فى المكافأة على الحسن
والقيح تعم الخاطر ، وتقرب بغية الراغب ، مما سمعناه ممن تقدمنا ،
وشاهدناه بعصرنا ، وبالله التوفيق

المكافأة على الحسن

١ — حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل * عن عبد العزيز بن خالد
الأموي * عن أبيه خالد * . قال : أخبرني محارب بن سلمة * كاتب
خالد القسري : أن ديوانيان^٢ خالد أخرج من ديوانه وثيقة على بعض
المتضمنين فدفعها اليه يبرّ تعجله منه . فدعا به خالد وأمر بقطع يده

(١) الموآرة : المتابعة من التواتر . (٢) الديوانيان : حافظ الديوان . والديوان
بكسر الدال مشددة . ويفتح مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أسماء أهل الجيش
وأهل العظيمة . وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله عنه . قيل فى سبب تسميته
ديوانا ان كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون على أنفسهم فقال :
« ديوانه » . أى مجانين . فسمى الموضوع به . وقيل ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين
فسمى الكتاب باسمهم لحدقهم ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم ف قيل ديوان .

بين يديه . فقال له : استبقني أوصلي الله الأُمير . فقال : وما يكون من
مثلك . فقال له : أن لم يُقدّر في الزمان رفعتي الى منزلتك ، فلا تأمنه
على حطك الى منزلي ، فيكون مني ما تحمده . فقال خالد : أطلقوه
ففيه عظيم . فلم يمض حول حتى ورد العراق يوسف بن عمر * متولياً
لعمله ، فحبسه في حُجرة من ديوانه ووكل بباب الحُجرة جماعة .
فقدّس الديوان حتى دخل في جلّتهم وتلطّف للجماعة حتى رأوها
بالخبرة وحسن المداخلة . وتحرّم خالد طعام يوسف بن عمر خوفاً من
أن يكون مسموماً فطوى ، وتأمل من ذلك الديوانيان فجعل في منديل
نظيف ما يكفّ جوعته من طعام قد تأنق فيه ، ودخل اليه كالمتجسّس
عن حاله . فقال له : أنا الديوانيان الذي عفوت عنه ، وهذا طعام تأمن
فيه ما تخافه في غرة . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأُطعمة والفواكه
ما ينسى به وحشته ، ويكفّ فاقتة ، ثم دخل اليه فقال : ليس هذا الذي
أفعله مقدار ما يقتضيه إحسانك إليّ ، وقد استأجرت الدار التي في
هذه الحُجرة ، وأحضرت قوماً أثق بهم من حُذاق النقاين حتى نقت
سراً الى موضعك ولم يبق إلا أن تركض بعض بلاط هذا المجلس
ركضة فتفضي الى السرب . وقد أعددت في الدار نجيين ، احدهما لك
والآخر لي . فلما صلى الديوانيان العصر أغلق الباب ومضى الى الموضع
المكترى . وركض خالد الموضع وخرج من السرب وركبا نجبيهما
وحثا السير فما فُطن بخالد إلا في غدٍ ذلك اليوم ، فطلبتة الخيل والنُجُب

ققاتها . ولم يزل يوضع^(١) في البلاد حتى لحق مسامة* بن عبد الملك فشفع له الى هشام* وردّه الى عمله .

ابن مرزوق
ومتضمن

٢ — وحدثني هارون* بن ملول . قال : كنت عند أحمد بن خالد الصريفي* (وهو يتولى الخراج بمصر ووجوهها عنده) . وقد أكتب على حاصل ما استخرج في أمسه ، وهو يقابل به ثبت^(٢) المصادرة . فقال لصاحب حمالة : ما أرى اسم فلان المتضمن في هذا الحاصل ، وقد صادرنّا بالأمس على خمس مائة دينار . فقال : ماصح له شيء . فقال : أبعث اليه من يسجبه صاغرا حتى يحمله على خُطّة المطالبة . فقال له رجل من المتضمنين يعرف بما شاء الله بن مرزوق : الخمس المائة أيّدك الله تصحّ لهذا الرجل في هذه العشية إن شاء الله ان اعنني ممّا قد أمرت به فيه . فقال : هي عليك . فقال : نعم . فتقدّم الى صاحب الحمالة ألا يعرض له . فالتفت الى ما شاء الله . فقال : تعرف هذا الرجل . فقلت : نعم ومن العجب ألاّ نعرفه . فقال : يا أخى أمر في رجل يجري مجرانا في معاشنا بما لم أطق والله احتماله وعندي ضعف ما طواب به ، وكانت صيانتّه أحبّ الى ممّا حويته . فاذا لقيته فعرفّه انى أورد المال عنه لثلا يورّد المال مضعفا . وانصرفت من مجلس أحمد بن خالد . فلقيت الرجل في طريقى وهو مجدود^(٣) فسألته عن خبره وأخبرته الخبر . فقال (١) الوضع : الاسراع . (٢) الثبت : الدفتر . وقوله (صادرنّا) أى صدرنا عنه على ان يعطينا الخ . (٣) المجدود : المقطوع .

يا أخى وما فى هذا من الفرج ، انما انتقلت من غم الى رق . ومتى
أقضى الى هذا الرجل احسانه الى . والله لوددت ان أمر السلطان
نقد فى ولم أتحمل هذه العارفة فيه . قال أحمد بن يوسف فقال لى
هارون : وحضرت [بيت] ماشاء الله بن مرزوق بعد هذا بأربع سنين
فى الوقت الذى توفى ، فاتفق ان كان الى جانبى رجل قد ألقى بعض
ردائه على وجهه وهو يمج بالبكاء والشهيق . ثم كشف وجهه فكان
الرجل الذى أورد ماشاء الله عنه الخمس مائة دينار . فقال : من الوصى
من جماعتكم ؟ فقال له الوصى : ها أنا ذا . فقال : عندى لهذا الرجل
رحمه الله ألفا دينار وخمس مائة دينار . فقلت له : حدثت بينكما
معاملة بعدى . فقال : لا والله ولا كسبها الخمس مائة دينار صرت بها اليه
عند تيسرها فقال : وما [اعمل بها] تكون عندك الى أوان حاجتى
اليها . فسأله [الاذن] فى شغلها . فقال : هو مالك اعمل به ماشئت . فلم
تزل تنمى وتزيد حتى بلغت هذا المقدار . فقال هارون : ووجدت
ما خلفه ماشاء الله لبنات كنّ معه شيئاً نذرا فجبرهنّ الله بذلك المال .

*
* *

ابن دعيم
واعرابي

٣ - وحدثني أحمد بن دعيم * (وكان من خاصّة قوّاد أحمد بن
طولون * بعد أن ترك الديوان وحسن انقطاعه الى الله) . قال : قلدني
أحمد بن طولون الصعيد الأوسط ، وخرج عليه سوار * أبو عبد الرحمن
القرنى فكتب الى يستخبرني عن حاله . فاعلمته ضعف يده ، وانتشار

أمره بقله المال ، وقبضت على رئيس من الأعراب اتهمته بمكاتبته وأنهيت خبره اليه . فكتب الى أحمد بن طولون : يأمرني بحمل الاعرابي [وقيادة] ما قدرت عليه من النجى والشيوخ الى ليقف من مشافيتي على مالا تبلغه المكاتبه . فامتثل أمره ، فما سرت رحله^١ حتى لحق بي وجوه تجار العمل ومعهم شاب أعرابي . وقالوا لي : جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول فان معنا من يبذل في اطلاقه خمس مائة دينار . فقلت لهم : قد أنهيت أمره الى الأمير . فقال الأعرابي الذي معهم : نخذ الخمس مائة على أن تجعلى مكانه . قلت : أفعل . فاحضرت الأعرابي وكان من عشيرتى ، فقلت له : والله لقد كنت مغمو مأك حتى سرتنى خلاصك قال : بماذا تخلصت . فقلت : بذل لى رجل خمس مائة دينار على أن يكون بمكانك وأطلقك . فقال ومن هذا الرجل ؟ فاحضرته اياه فلمّا رآه قال امض لشأنك . ثم التفت الى فقال : « يحسن بشيخ مثلى ان يترجّح فى المعروف ، هذا رجل لقيته وقد اكتب عليه خيل لتسلبه ثيابه وما كان معه فقرقتها عنه حتى تخلص ، فرام أن يخلصنى بحصوله فى موضع لا يخرج منه أخرى الليالى ، وغرم ثقيل على مثله ، وليس هذا مما لا أقبله ولا أركن اليه » . فقلت له : انصرف فى حفظ الله فقدرضى الرجل . فقال : والله لئن امضيت هذا لالحقنك ولا أخبرن الأمير بصنيعك . فتوقفت وبكى الاعرابي فقال : اذا كان محبس الأمير على ما تصف وليس ترجو خلاصا

(١) الرحلة : المرحلة الواحدة كذا وجدت في الاصل بفتح الراء . وفي القاموس : الرحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارتحال وبالضم الوجه الذى تقصده والسفرة الواحدة

منه فما أعمل في عارفتك عندي ، وانا أنشدك الله لما قبلت مني ما بذلته
وأعظم منه، وازلت هذه العارفة عن عنقي فإن عارا ونقيصةً على الكريم
أن يموت وعليه دين من ديون المعروف . فقال له : اذا رأيت رجلا
احاطت به خيل تريغ^(١) سلبه فذدتها عنه فقسد كافأت عارفتي ، انصرف
مُصاحبا . فعرض عليه مامعه من المال . فقال : ما بي اليه حاجة فاكب على
رأسه ورجليه يقبلها ويبيكي . فابكى جماعتنا

فلما دخلت على أحمد بن طولون شافته من خبر العمري^(٢) بما
سرّه . وعرضت عليه النجب . فقال : حسنة والله . فقلت : معي أيها
الأمير ما هو أحسن من هذا وحدثته الحديث ، فأحضر الأعرابي
وخلع عليه وأثبتته في ديوانه وأمرني بانفاذ رسولي معه في الأعرابي
الآخر ، فلما وافى خلع عليه وأثبتته فلم يزل في خاصته الى وفاته .

٤ — وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح (وكان هذا ابني مصلح
ومحبوس
من الثقات عند أحمد بن طولون) : أن أحمد كان يراعى أمر المحبوس حتى
يمضي له حول فاذا جازه لم يذكره . وكان يقول لي سرّا : اذا تبينت
من رجل براءة ساحية فسأل عليه واستأمرني فاني استعمل التشدد
للضرورة اليه . قال موسى بن مصلح : وكان في الحبس رجل قد زاد
على سنتين منقطعاً الى الله برغبته لا يسئلنا شيئاً من أمره وهو يكب

(١) تريغ : أى تطلب من قوهم راغ الثعلب روغانا . (٢) تقدم انه القرني .

على الصلاة والتسبيح والتضرع الى الله .

فقلت له يوما : الناس يضطربون في أمورهم ويسئلوني اطلاق الرقعة الى ذوي عنايتهم وأنت خارج عن جملتهم . فجزاني خيراً ورقّ قلبي عليه وكبر في نفسي محله . نخلوت به وقلت له : لو استجرت اطلاقك بغير اذن لفعلت ، ولكن استعن بي في أمرك . فقال : والله ما أعرف في هذا البلد غير أبي طالب * الخليلج (وكان هذا الرجل يتولى شرطى أحمد بن طولون بمصر) . ولو وصلت اليه سرّاً أو برسالة ممن يفهم لرجوت تسهيل أمرى . فقلت له : والله لا تين في أمرك ما أخطر به على نفسى ، أنا اطلقك سرّاً على أن توثقى بأيمان محرّجة انك لا تهرب عنى ، ولا تحقرنى " . فقال : اذا كنت عندك بمنزلة من يشك فيه فلا حاجة لى باخراجك إياى ، فوافقته من غير يمين ارتهنته بها على أن يقيم ثلاثة أيام ، فأطلقته ليلة الجمعة وفارقه على أن يصير الى ليلة الاثنين . فلما كان سحر يوم السبت وافانى كما فتحت باب السجن ، فلما دخل سجد وحمد الله . وقال لى : بعثت الى أبي طالب الخليلج امرأة من أهلنا وطويت عنه اطلاقى وسألته أن يلطف فى أمرى . فوعد بذلك وخلف المرأة حتى ترجع الىّ بالجواب . وركب الى الامير عشيّة الجمعة فأقام الى قريب من العتمة ، ثم انصرفت الى المرأة فقالت : وافى أبو طالب الامير وهو مغموم . فقال لى كلمته فيه فقال : والله لقد أذكرتنى

رجلاً يحتاج الى عقوبة . ثم تقدم الى رجل أن يصير بك اليه عند جلوسه في يوم السبت ، ووجه الى أن أرجع الى الله عز وجل في أمرك فليتنى لم اتكلم فيك . فسحرت معما تيقنته في أمرى خوفاً أن يأتيك رسوله فلا يجدني فيحققك مكروه منه . ورأيت كلما يوعدني به اسهل على من أن أخفر ظنك بي ، وتقديرك في . فما ترجل النهار حتى وافى الرجل فتسلمه مني وحضرت الدار ، وقد احضره احمد بن طولون ومجلسه بين الخاص والعام . فلما رآه بكته بالاجلاب عليه في الشجر . فاعتذر بعذر قبله ولقيه بالرافة بضد ما خفته عليه وأطلقه . فكان من أثر اخواني عندي الى أن فرقت الايام بيني وبينه .

*
* *

٥ — وحدثني عمي اسحاق بن ابراهيم . قال : انتظرت اباعبد الله الواسطي * كاتب احمد بن طولون في داره حتى رجع من عند احمد بن طولون . فأوصل اليه بعض الحجاب ثبت من وقف بالباب فرأى فيه اسماعيل * بن اسباط ، فسأل عنه . فقيل له : وقف بالباب طويلاً وانصرف . فقال : ان هذا الرجل ممن عمده هذه المنزلة مدة طويلة ولست أشك ان مجيئه لحاجة له ، ومن الجميل أن اركب اليه فاقتضيه حوائجه وابلغ فيها محبته ، ثم ركب وسرت معه حتى دخلنا دار اسماعيل ابن اسباط (وهي التي ملكها الشير بعده) فرأينا دارا عارية من الستور والفرش ، وتأملنا من فيها من الحشم على حال سيئة ، فاستقبله اسماعيل

ابن اسباط
والخناق

بالشكر والدعاء له . فقال له الواسطي : « انه لا فرق بينك الساعة
عندي في المرتبة التي كنت فيها ومن جئنا » . فما أفضى اليها أن نحسن
فيه خلافة من تقدمنا ، وإن نراهم كالأباء المستحقين البر من أولادهم »
وسأله عن حاجته . فقال : أخبرك بها بعد أن أحدثك بشيء يدل على أن
المعروف ينفع عند مستحقه وغير المستوجبين له

كانت لي ^(٢) ايدك الله دار خيل نحو المنظر ، وكنت أركب
اليها في غداة اليلة التي اعاقر فيها اخواني . فركبت اليها يوما فالتقيت في
الصحراء جمعا من العامة وقد ضاقت بهم ومعهم عامل المعونة واستقبلتني
امراة قد هتكت سترها ، وكشفت شعرها . فقالت : ياسيدي اخي وواحد
وكافلي يعرض على القتل الساعة ، فعدلت الي صاحب المعونة وسألته
عن حال الناس . فقال : اجتمعنا لضرب خنّاق بالسوط . فقلت له بحضرة
الناس : ما حق هذا لا الاحراق بالنار ، وأنا اكتب فيه الى السلطان
فاعلم الجميع بالدعاء لي وانصرفوا . فسألته البعثة بالخنّاق الى فوعدي
بذلك في المساء ، فلما صليت عشاء الآخرة انقذت الي منه شابا مكفّر
الوجه لا تخفى قسوته . فقلت له : أما تستحي من الله وتخافه في
طعمتك . فقال ياسيدي : أنا أشهد الله اني لا أعاود هذا الفـعل أبدا
فاوصيته بخير واضفت اليه من أخرجه عن البلد في حال ستر وأقمنا
بعد ذلك سنين . وتقاصرت أمورنا وتغيرت أحوالنا بتقليد اسحاق بن
(١) كذا في النسخة ولم يتبين لي وجه المعنى . (٢) في الاصل : كانت له وقوله
اعاقر فيها اخواني : أي اجتمع معهم فيها مع الملازمة لهم .

تميم علينا . فلما بلحنا^(١) بما نطالب به أشخصني وأخى أحمد الى الحضرة
فطالبنا الوزير بما نفقه ابن تميم علينا ، فشكونا اليه شدة اختلالنا . فقال : فلان .
فوافاه رجل بمنزلة أثيرة^(٢) عنده . غليظ الطبع ، كريه الوجه ، تتأمل
الشرفى سجاياه . فقال : استخرج من هذين مائة ألف دينار اليوم .
فانزعنا من بين يديه بفضاظة ايقنا بالهلكة ، ثم صار بنا الى حجرة له في
دار الوزير . فسألنا عن بلدنا ونسبتنا فلما سمع اسباط سكن فوزره ورق قلبه .
وقال : من تكونون من اسماعيل . فقلت : انا اسماعيل فبكى وانكب على
رأسى ورجلى . وقال لى : ياسيدى اتعرفنى ؟ قلت لا . قال انا الخناق الذى
أطلقتى بمصر . ووالله ما خنت أحدا بحمد الله بعد اطلاقى ، ولكن
شراسة طبعى عدلت بى عن الزهادة الى مادون الخلق ، وهو استخراجى
للاوزير الاموال بالتعذيب ، وقد وجد عندى فيه ما لم يجده عند غيرى .
ثم طعن فى تلك الحجرة فاخرج الى صندوقا يحمله غلامان . فقال : فى
هذا من المال والحلى ما نكتفى به فقوموا بنا حتى نهرب لئلا يقع
بكم بأس . فاعلمته انا نخاف فى الهرب تتبّع الولد والاهل . فرجع الى
الوزير يبكي بين يديه ويحدثه محلنا كان وما أولينا . فعجب الوزير
من رفته علينا لما وقف عليه من فضاظته وكان شهد الله أقوى الاسباب
فى دفع المطالبة عنا .

ثم سأل أبا عبد الله الواسطى بعد هذا الحديث : حوائج وقع بها

(١) بلحنا : أى اعيانا من بلح الرجل . (٢) الاثيرة : العظيمة .

في مجلسه ، ووكل بها . تنجزاً من خاصته ، ولم تزل الطافه تعتاده الى أن توفي .

محمد بن علي
ومسلمة

٦ — وحدثني يوسف * بن ابراهيم والدي . قال حدثني ابراهيم بن المهدي * عن اسحاق بن عيسى * بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه : انه كان مع أبي عبد الله محمد * بن علي أبي الخلفاء برصافة هشام بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله ، وانه أقام ثلاثة أشهر برصافة هشام لا يأذن له هشام * عليه ، الى أن بلغ أبا عبد الله : اجماع مسلمة القدوم على هشام . فلتقاه على أميال من الرصافة وشكى اليه جفوة هشام وتأخيرها الاذن عليه . فقال له مسلمة : أرجو أن يزول هذا بقدومي وأمره أن يقيم بباب هشام اذا دخل عليه مسلمة ، ولا يريم ما أقام مسلمة عنده ، فأقام أبو عبد الله الى وقت زوال الشمس . قال عيسى بن علي نخرج مسلمة اليه . فقال له : قوض رحلك أبا عبد الله فما لك عند الرجل من خير ، لاني خاطبته في أمرك بعد ما تقضى سلامي عليه . : « محمد بن علي بن عبد الله على شابكة رحمه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقيم ثلاثة أشهر ببابك فلا يؤذن له عليك » . فقال : « أله عنه أبا سعيد » . فأمسكت حتى حضر الطعام ، فأعلمته اني لا أستجيز الأكل وانه قائم على الباب ، فغضب غضبا زاد به حواله . وقال : « يسمى ابنه عبد الله وعبد الله ويرجو بهذا أن يلي الخلافة ثم يطعم في خير مني ، والله لولا ماسة

رحمه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقطعت من وسطه شبرا^(١) ثم عانق أبا عبد الله . وقال : رسولى اليك صائر ، فرجع أبو عبد الله الى رحله فقوّضه وبقي في حيرة لمجزه عما ينهضه ، ووافاه رسول مسلمة يقول : لم أقدر في سفرى هذا طول اللبث . وأشهد الله انى ما حملت معى الا ألفا وثلاثمائة دينار وقد وجهت اليك بالالف وخلفت الثلاثمائة لنفقتى . قال ابراهيم بن المهدي : فحدّث بهذا الحديث الرشيد* في حديثه الموصل فبكى . وقال : «وصلت أباسعيد رحم» . والله لا دخلت الرقة حتى قضى عارفته عندنا . فلما وافينا حصن مسلمة أحصى من فيه من ولده الذكور والاناث فوجدهم أربعين ، فأمر لهم بأربعين ألف دينار .

* *

ابن نصير
والوراق

٧ — وحدثنى احمد بن * وليد . قال : ودعت اسحاق بن نصير العبادى* في بعض خرجاتى الى بغداد ، فأخرج الى ثلاثة آلاف دينار^(٢) وقال : اذا دخلت بغداد ، فادفع ألف دينار الى ثعلب* ، وألف دينار الى المبرد* وصر الى قصر وضاح فانظر الى أول دكان للوراقين فانك تجد صاحبها (ان كان حيا لم يمت) قد شاخ فاجلس اليه وقل له : اسحاق ابن نصير يقرأ عليك السلام وهو الغلام الذى كان يقصدك كل عشية راجلا من دار الروميين بدرّاعة وعمامة ونعل رقيقة فيستعير منك الكتاب بعد الكتاب فاذا اقتضيته كراء ما نسخ منه . قال : اصبر على

(١) يعنى : خصيته (٢) في الاصل : ثلاثة آلاف دينار

الى الصُّنْع ، فاذا استقرت معرفتي في نفسه دفعت اليه هذه الالف دينار^(١) وقلت له : هذه ثمرة صبرك على .

قال لي احمد بن وليد : فلما دخلت بغداد ودفعت الالف دينار الى ثعلب والمبرّد ومضيت الى قصر وضّاح فالفيت الدكان التي وصف لي قفرا ليس فيه كتاب . ورأيت فيها الشيخ الذي وصفه لي في حال رثّة، وثياب خَلِقَةٍ ، وقد أفضى به الامر الى التوريق للناس . جلست اليه وسألته عن حاله . فقال يا أخى : ما ظنك بحال ماتأمله في أحسن ما فيها . ثم خرجنا الى المسألة الى أشياء كان فيها خبر اسحاق بن نصير . فقال : قد كان يجيئني من دار الروميين غلام ووصفه فاسمح له بالنسخة بعد النسخة يقال له : اسحاق ، وكان يعدني في كل شيء يأخذه الى الصُّنْع ، واخبرت انه وقع بنواحي مصر وما حصل لي منه شيء . فأخرجت الالف دينار وقلت له يقول لك : « هذه ثمرة صبرك » . فكاد والله يموت فراحا . فقلت له : ليست دراهم وهي دنانير وانصرفت عنه وهو أحسن من في سوقه حالا . قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة ، وهو متصدّر فيها على أحسن حال وأوفاها .

٨ — وكان بنحو دار العنقود شيخ يتنخس^(٢) في الدواب ، يعرف بابن

ابن الزنق
والقائد

(١) في الاصل : هذه الالف دينار . وكذا قوله : فأخرجت الالف دينار .

(٢) التنخاس : يباع الدواب والاسم النخاسة بالكسر ويتنخس يتجر فيها .

الزرق قد لحق بمصر أكابرها، ورأيت في أيام أحمد بن طولون قد علّت
 سِنّه، وضعف عن التصرف. وكان له ابن أخت خفيف الروح، مقبول
 الصورة، حلوا الالفاظ، يتنخس في الدّواب. خف على قلب القاسم
 ابن شُعبَة * وكان شعبَة من أكابر أصحاب أحمد بن طولون ومات في
 طاعته. فرد الى القاسم ابنه احدى الشرطتين بمصر فانصرف ابن أخت
 ابن الزرق من عند القاسم وقد خلع عليه ذُرّاعة خزّ من تحتها جُبّة ملحم.
 فنظر اليها خاله ابن الزرق. فقال: ماهذه الخلعة الرائعة. فقال: خلعتها
 على القائد (يريد القاسم بن شُعبَة). فقال: يا بُنّي ان كنت تصبر على
 التدلي معه في محنه، كما تدلي في نعمه، والأفاعير له ولا تقضخنا بالقعود
 عنه في نوائبه. فقال: أرجو أن يصونه الله وما أنعم عليه به من نائبة
 تلحقه، أو مسكروه يقع به. فقال: وانا أرجو هذا أيضا له ولكن ينبغي
 ان لا ينسى نصيبه منك في الشدّة، كما عني بك في النعمة. واتصل
 بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبَة شيء أنكره فحبسه ووكل بداره
 جماعة، واختفى النخاس في دار خاله، فسأله بعد يومين عن سبب
 ملازمته المنزل. فقال: وجدتُ علّة الى أن اتصل الخبر بالشيخ فدخل
 الى ابن اخته فقال: قبحك الله، سرقت معروف هذا القائد وخليته يقارع
 شجوه بمحنته، واسرج حمارا له وركبه وجيرانه يناشدونه الله الا يفعل.
 فقال: والله القتل أحسن مما أتى به هذا الوغد، ثم قصد دار القاسم بن
 شعبَة وعليها جماعة من الموكلين وأصحاب الاخبار. فوقف على الباب

فقال : كيف حال القائد أبي محمد أيده الله . فقالوا : امض يا شيخ .
فقال : ما مضى حتى ابلي عُذرا ، هذا رجل قد لزممتي له عارفة وهذا
أوان قضائها . فوقع خبره الى احمد بن طولون فاحضره وقال : ما كنت
تعمله للقاسم بن شعبة . قال أولاني في بعض اقاربي جميلا فانتصبت
الساعة لما يحتاج اليه . وما أحق الامير ان يفضلني بحسن المكافأة عن
طاعة والده له . فقد كان مشهورا بها .

فحدثني أبو العباس الطرسوسي * أن أحمد بن طولون قال له في هذا
المجلس : « ما أحسن ما أهتدي هذا الشيخ الى اذكارى بحق قاسم
وعطفي عليه » . ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خُلعة رضيَّ وصرفه
الى منزله . وعدل الشيخ ولم يدخل معه داره وانصرف الى بيته وقد قام
بما قعد عنه ابن أخته .

* * *

٩ — وحدثني هارون بن ملول . قال : لما مات أبي ورثت منه
ملول وابن تميم هارون بن
ملول وابن تميم
مالا جما ، ومستغلات نفيسة ، وكان يقصرني على زى التجار ، ويمعني من
التخرق^(١) والسرف في الهيئة . فعمدت الى أثواب وشي سعيدي^(٢) كانت
في المتاجر التي خلفها والذي فقطعتها . وقطعت لخدم ارتبطهم للتجارة

(١) التخرق في السخاء : التوسع فيه . قال الشاعر :

فتى ان هو استغنى تخرق في الغنى * وان عض دهر لم يضع متنه الفقر

(٢) وشي سعيدي : هي ضرب من برودالين تعرف بالسعيديّة . منسوبة الى

سعيد بن العاص .

من الملمح والدياج مالا يتسمح به أحد من أبناء الترفه وجلست في
الوشى وقام الغلمان بين يدي فيما قطعتهم . ووافانا اسحاق بن ابراهيم
مفتقداً ، فتأملني فقال : لقد سرفني بعدُ تيمتك^١ وحسن زيك ، بارك
الله عليك ، وأحسن اليك . ثم وافا جماعة من اخوان أبي وأصفياءه
فوالله ما أنكر على واحد منهم ما خرجت اليه من زي أسلافي . فلما
كان في عشي ذلك اليوم وافاني رسول اسحاق بن تميم^٢ : «عندي من
لا تحتشمه فتونس جماعتنا بحضورك فقد أعجبنى اليوم حسن زيك» .
فزدت في الخلعة وركبت ، فلما دخلت اليه لم أقف عنده أحداً من إخوان
والدي ، فلما توسطت الصحن ابتدرني الغلمان وصاح بي اسحاق :
«توهم يا جاهل ان أباك مضي واسترحت ، ولا تعلم ان أباك خلف لك
هؤلاء الآباء بأسرهم يردونك عن الخطأ باليم العقوبة ولا يشفعون في
مصلحتك من عظيم ما كان أبوك يرق عنه فيك» . ثم بطحت في وسط
الدار ، فصحت بهم ياساداتي : والله ما قرعت قط بمقرعة . فقال اسحاق :
«ولا أتيت بمثل هذا الفعل» . وضربت ضرباً مبرحاً ولم ترفع المقرعة
عني حتى حلفت لهم ألا أزيد على معرض والدي واقتصاده ، فأقمت على
هذا الى اليوم . وما زال عنه الى أن توفي .

- (١) كذا أعجمت في النسخة بخط مفارق للأصل . ولعلها بعد تيمتك .
(٢) هو اسحاق بن ابراهيم بن تميم .

المؤلف
وأعراب من
القيسية

١٠ — ولما استفحل أمر ابن الخليج * انحاز عنه جيش مصر الى
الاسكندرية وخلا الفسطاط منهم وكنت بمدينة اهناس واضطربت
النواحي واحتجت الى مشاهدة الفسطاط . فتخفرت بأربعة نفر من القيسية
دفعت اليهم عشرين ديناراً ، وخرجت معهم فأحسنوا العشرة ، وأجلوا
الصحبة . وكنا لا نجتاز بحى ولا جماعة إلا كففونا مؤنة كلامهم ،
وصدقوا عنا بأسهم . ولم نزل كذلك دأبنا حتى بلغنا قصر الجزيرة .
فأقبلت رعدة^(١) من الاعراب قدرتها برأى العين خمسين فارساً كانت
من غير حيهم . فصممت نحونا برماحها ، وعملت على نهينا وقتلنا ، ورأيت
الموت في أسنتهم . وأحسن الأربعة الذين تخفروا بهم لقاءها والتضرع
اليهم ، وناشدوهم ألا يخفروا ذمتهم ، وأجلوا التانى حتى انصرفوا .
وجدنا في السير حتى اتينا الى حى المخفرين لنا . فقال المخفرون :
قد بلغت الى من تأمنه فخط رحلك فما تستقل دوابك الزيادة على هذا
السير . فنزلت وتقدمت الى الغلمان فى اطعامهم ، ولم أجد للطعام مساغاً
من فرط ما لحقنى من الروع ، وعملت فى المخفرين هذه الأبيات :
جزى الله خيراً معشراً حقنوا دمي وقد شرعت نحوي المثقة السمى
دراهمهم مبدولة لضعيفهم وأعراضهم من دونها الغفر والستر
اذا ما أغاروا وأستباحوا غنيمة أغار عليهم فى رحالهم الشكر
وانزلوا قطراً^(٢) من الارض شاسعاً فما ضره الا يكون بها قطر

(١) الرعدة : اسم كل قطعة متقدمة من خيل ورجال وطيور وغير ذلك .

(٢) القطر : الناحية والجانب من الارض والاقليم ايضاً .

فاحظني واحد منهم وأنا أكتبها ، فظن أني أكتب الى السلطان
فأشتكي ما كان من الفرسان الذين لقونا بقصر الجيزة . فقال : قد
سلمك الله من أولئك القوم ، وقد أحسنوا إلينا في حسن الاجابة لنا
فلا تكتب فيهم بشئ . فقلت : والله ما كتبت فيهم ولا في غيرهم الى
السلطان بشئ . فقال لي شيخ من المخفرين (وقد قرب مني) : فما تكتب .
قلت : أكتب أياتا مدحتكم فيها . فقال : « وانك لتقرض الشعر » .
قلت : نعم . قال : انشدني على اسم الله ، فأنشدته إياها . فقال : « برك
الله ووصلك » . ثم صاح بالثلاثة ، فلما اجتمعوا أنشدوا إياها فما خرم
شهد الله حرفا واحدا ، فعجبت من حفظه لها ولم أعد عليه حرفا منها
وتدبنت الفرح في سائرهم ، وحفظوها بأجمعهم . ثم صاح بهم الشيخ :
« ماتتظرون ، ارحضوا ^(١) السوءة عنكم » . فأدخلوا أيديهم في جيوبهم
وجمعوا شيئا أخذه الشيخ منهم . ثم قال لي : قد شكرنا صنيعتك والله
لا نجمع بين شعرك ووفرك ، ووضع العشرين الدينار بين يدي ،
فأكبرت ذلك وأعظمته . فقالوا : الى الصواب ألا يعلم بها عشيرتنا فيرجع
عليك منها أكثر مما خفته ممن لقيك بقصر الجيزة ، وركبت فسرت
مع جمع كثير منهم وهم ينشدون تلك الايات . فالتفت أن يقبلوا مني
برا فلم أصل الى ذلك ، ورأوا ان الشعر أحسن موقعا مما ملكته .

١١ — ونزل في حارتنا غلام أمرد تأخذه العين وكنت أسلم عليه
المؤلف
وعباسي

(١) أرحض الثوب : غسله والمعنى كافئوه على معروفه

إذا اجتزت به كما أفعل هذا بغيره من جيرتي . فانصرفت يوماً الى منزلي فوجدته قائماً على بابه فدفع الى رقعة يذكر فيها انه عباسي من ولد المأمون ويسألني فيها برّه ، ودخل من كان معي بدخولي ، فقضيت شغلي بالجماعة حتى انصرفوا . ووضعت المائدة بيني وبين العباسي فأكلنا وهو يتألمني فلا يجد في شيئاً قدّره . فلما غسل يده دفعت اليه ثلاثة دنائير واعتذرت اليه من تقصيري في حقه وانصرف وقد رأيت تبجيلي في حماليق عينيه .

فلما كان بعد ذلك بسنوات^(١) وأنا في ضياع تقبلت بها ولي فيها غلة بمالٍ جسيم نخفت أن أدخل القسطنطينية فتخرب الضياع وتتعطل عمارتها فكنت أكن نهاراً في بعض منازل الفلاحين وأظهر ليلاً فأعقد منها ما تهيأ لي عقده . فاني لكأني في يوم من الايام حتى سمعت رجّة شديدة فدخل الى بعض غلماني . فقال : دخل أصحاب دُميانة الضيعة وعملوا على نقل الغلات ، وأيقنت بتلف أكثر ما أملكه ، ثم سكنت أصواتهم ودخل الى غلام لي . فقال لي : يا مولاي كانت هذه الضياع قد أشفقت^(٢) على نقل ما فيها ، حتى نظر الى العباسي الذي كان في جوارنا . فقال لي : ألسنت غلام أحمد بن يوسف . قلت نعم . قال : فهذه ضياعه قلت نعم . فصاح بالجماعة التي دخلت من أصحابه دُميانة : « أخرجوا بأسركم عنها » . فخرجوا ثم قال لي : قل لمولايك ياسيدي محلي عند الأمير

(١) تصغير سنوات وأراد به القلة . (٢) اشفقت مثل شفقت : أي قاربت .

دميانة محل الاخ، فظهر واركب اليه فقد آمنك الله على نفسك ومالك
فسألت الغلام ما كان زيه . فقال : كان عليه كساء صوف مما ينام فيه
وتحتة خفتان . فأحضرت بعض مشايخ الضيعة وحملت معه اليه ذرّاعة
خزّ كحليّة ومطرف خز وخمسين ديناراً وسألته أن يقبل ما يحتاج اليه
من ناحيتي . فقبل الذرّاعة الخزّ ورد المطرف والدنانير . وقال لرسولي :
« والله للثلاثة الدنانير التي وهبها لي لشرفي لا شيء مما ظننته به ، أحسن
موقعا عندي مما رددته اليه ، فكثّر الله في الناس مثله » .

فلم يزل عضداً الى وسترأ على حتى انصرف دميانة عن الناحية .

١٢ - وحدثني يحيى بن الفضيل * عن يحيى بن نجه * (وكان يحيى بن نجه والرخجي

هذا الرجل حسن الكتابة) . قال : ترددت الى عمر بن فرج * الرخجي
مدة فدخلت عليه في يوم من الايام . فقال : قد أنضيناك قد أستمت
في هذا اليوم سنةً ووقع لي بتقليد عمل سني ، واضطربت فيما احتاج الي
التجهّز به . فلما لم يبق عليّ الا نصّ ركابي ، برّزت ظهري وثقل
ووقفت على باب دار أمير المؤمنين المنتصر أنتظر توديع عمر والخروج
الي عملي ، فرأيت غلمان عمر يتسللون ، فسألت عن السبب فقيل لي
سخط أمير المؤمنين على عمر . فخرت وخفت أن أرجع الي منزلي
فأخسر جميع ما أنفقته ، فاني لفي تلك الحيرة حتى خرج عمر بن فرج

(١) نص ركابي : النص هنا بمعنى الظهور .

ومعه رجل من شيعة بني العباس . فقال لي : « أين كل من كان معي » .
فقلت : تسالوا للحادث . فقال : وقد وكل بي هذا الشيعي على أن ينفيني
الى بلاد الترك ولم أعد شيئاً ولا أجد من يُعده لي . قلت : هذه قبة وظهر
ثقلك وأنا أصحبك شكراً على ما أسلفتني من التقليد . فركب القبة
وأحضر الشيعي قبة له وركبنا وأنا أعادله وانتهى المسير بنا الى خراسان ،
وكنّا لا نقضى من بلدان خراسان الى بلد إلا وجدناه أغلظ طبعاً من
البلد الذي فارقناه حتى بلغنا بخارا ، فرأينا قوماً في نهاية من غلظ الطباع .
فقال لي : مَنْ رآني أعجب منهم ؟ كيف لورأيت الترك وبلدانهم يقتلون
المستجير بهم ويغير بعضهم على بعض فيهلك النازع اليهم بينهم . فزادني
هذا القول تهييلاً للسير معه ثم ملكت ما استغرب مني وتماسكت ووجدت
بنا السير عن بخارا الى أرض الترك واني معه في القبة وهو يحدثني
بشيء قد شغلني عن تبينه ما يقلقني من ركوب ما قدمت عليه من الخطر ،
حتى سمعنا حلق البريد ، فتشوفنا لها ووافي بها رسول أمير المؤمنين
وكتابه بما أمره بالخضرة من الرضا عنه ورده الى مرتبته ويأمره
فيه بكشف مدن خراسان وتجريد عقودها على أصوب ما استقرت
عليه ، واستثارة التوفير بها والزيادة فيها . فلما استتم قراءته حمد الله وألقى
الكتاب الى . وقال : بارك الله لك في الخلاص وهناك المزيد ، ورد
الى تأمل ما أمر به أمير المؤمنين من كشف عقود النواحي فانصرفت
الى منزلي بمائة ألف دينار مع ارتهان شكر المعاملين واحماد السلطان .

١٣ — وحدثنا أحمد بن يوسف^١ . قال : حبس أحمد بن طولون والد المؤلف ومصطفيه يوسف بن ابراهيم والدي في بعض داره . « وكان اعتقال الرجل في داره يؤنس من خلاصه ، فكاد ستره ينهتك لخوف شمله عليه . وكان له جماعة من أبناء السريته حمل مؤنهم مقيمة عليه لا تنقطع الى غيره . فاجتمعوا وكانوا زهاء ثلاثين رجلا ، فركبوا الى دار أحمد بن طولون فوقفوا بباب له يعرف بباب الجبل^٢ واستأذنوا عليه ، فأذن لهم فدخلوا اليه وعنده محمد بن عبد الله بن الحسك وجماعة من أعلام مستورى مصر ، فابتدروا كلامه بأن قالوا . قد اتفق لنا أيّد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه^٣ مارجونا أن يكون ذريعة الى ما نأمله ، ونحن نرغب الى الأمير في أن يسألها عنا ليقف على منازلنا . فسألهم عنهم . فقالوا : « قد عرضت العدالة على أكثرهم فامتنع منها » . فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس وسألهم تعريفه ما قصدوا له . فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن ابراهيم لأنه أهدى الى الصواب فيه ، ونحن نسأله أن يقدّمنا الى ما اعترزم عليه فيه . ان آثر قتله أن يقتلنا ،

(١) أورد هذه الحكاية ياقوت في معجم الادباء من رواية الحافظ ابن عساكر في ترجمة المصنف ج ٢ صحيفة ١٥٧ . قال الحافظ (يعنى ابن عساكر) : وبلغنى عن أبى جعفر أحمد بن يوسف . قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن ابراهيم والدى الى آخر الحكاية . وفي بعض ألقاظها اختلاف أكثره تحريف من الناسخ . (٢) فى الاصل هكذا : بباب الجبل . وفى المعجم بباب الخيل (٣) فى المعجم بين دائرتين (وأشاروا الى ابن عبد الحسك والحاضرين مجلسه) .

وان آثر غير ذلك أن يسلف بنا ، وهو في حلّ وسعة منه . قال : ولم ذلك . فقالوا : لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا اليه ، ولا وقفنا باب غيره . ونحن والله أيها الأمير نرتخص^(١) البقاء بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه . وعجّوا بالبكاء بين يديه . قال أحمد بن طولون : بارك الله عليكم فقد كافأتم احسانه ، وجازيتم انعامه . ثم قال : [على] يوسف بن ابراهيم^(٢) ، فاحضر . فقال خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا . فخرجوا معه وانصرف بهم الى منزله .

*
* *

المؤلف
و بعض التجار

١٣ — قال : وطالبني بعض عمال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصل ، فاحتجت الى معاملة بعض التجار عليه ، فدللت على رجل من أهل الشام يعامل برهون فصار الىّ وأنا في بيت المال منه شيخ حسن الصورة ، جميل اللقاء . فقال : الى كم تحتاج . قلت الى مائتي دينار . فأخرج من كمه مالا فوزنه واستزاد من غلام كان معه دنانير حتى أكل المائتين . ثم سلمها الىّ واقضاني خطأ بها . وقال : « قد كفيت مؤونة الرهن » . فقلت فكيف أكتب الخط . قال بمائتي دينار كما أعطيتك فقلت له : سبيل المعاملة غير هذا . فقال : والله لا قبلت منك فيها ربحاولو وهبته لك لكان من أصغر حقوقك علىّ . ثم قال لي تعرفني قلت . لا .

- (١) الرخص : شدة الحر يعني أن الامر يشتد عليهم بعده .
(٢) في الاصل : ثم قال يوسف بن ابراهيم ، فاحضر . فكلمة (على) والباء مصاحبة بخط مغاير للاصل . وفي المعجم : ثم قال احضر يوسف بن ابراهيم فاحضر .

قال : ركبت مركبا أريد الفسطاط من تنيس وحملت فيه تجارة
لى ما كنت أملك غيرها . حتى اذ بلغت المحلة ووازيت ضياعا كانت
في يدك . كسر بنا وغرق جميع ما أملكه ، وسلمت بحشاشة نفسى .
فجلست على الشط أبكى وانتحب ، فأقبلت فى جماعة معك فسألتنى عن
حالى فأخبرتكم بها ، فبثت فى حشد من يغوص على المركب وما فيه ،
وحططت على الشط . فأخرجوا بزاً كان لى وتلف ما سواه ، واستحلفتنى
على ما ذهب لى فأخبرتكم به ، وكانت قيمته سبعين ديناراً ، فقسمتها
لى على وكلائك وكتائبك . فلما حصلت لى أعطيتنى دنانير من عندك
وقلت لى : هذا ارش^١ ما لحقك فى الثياب . وأمرت أن يكثرى
[لى] الى تنيس ، وكتبت^٢ الى جماعة معامليك بتنيس بما لحقتى ،
وبعمونتى على أمرى . فرجع بك الى ما أملك واكتسبت جاهها
بتنيس تضاعف مالى به ، وحسنت معه حالى ، وأخذ خطى بالمال
وانصرف .

١٤ — وسمعت أبا العباس أحمد * بن بسطام يحدث أبا الطيب أحمد بن بسطام
أحمد * بن على . قال : لما سخط الموفق على صاعد * وكل به من يطالبه
واقرني والطائي * على ما كنا نتقلده له . وكان صاعد محسنا لينا ، جميل
العشرة لنا ، فلم تترك شيئاً نصل اليه مما خفف عنه إلا بلغناه . وكانت

(١) الارش : دية الجراحات يريد به العوض عما لحقه من الخسارة .

(٢) فى الاصل : أن يكثرى الى تنيس وكتبت لى الى جماعة الخ .

بني وبين الطائي أحنة فدعاني الموفق في يوم من الأيام (ونحن بواسط)
وقد بلح صاعد واستنزل المستخرج جميع ما وصل اليه منه . فقال لي :
أحمد ادخل الى صاعد فقل له ، أظنك أرضيت المستخرج حتى فتر
في مطالبتك ، وتالله لئن لم تخرج محتجبك ، لأتولين تعذيبك بنفسى .
فدخلت اليه وأديت الرسالة . فقال لي : يا أحمد والله مابقي لي شيء وما
ملكك قط ما هو أحب الى من نفسى . فتقول له ياسيدى والله
ما أملك على الارض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا جوهراً ، وأنت أولى
بالتطول على خادمك . فانصرفت من عنده وأنا أخاف أن يغريه ذلك
الجواب . ودخلت اليه وقلت له يقول لك : « ياسيدى ما أملك على وجه
الارض ولا بطنها غير مائة ألف دينار عند الطائي » . فأمر باحضاره فلما
مثل بين يديه . قال له : المائة الألف الدينار التى لصاعد عندك ، قد بعث
الى يحلف أنه لا يملك غيرها . فقال له ، هي بمدينة السلام فينظرني
الأمير مسافة الطريق وأنا أستسلف له ما تيسر منها من التجار هاهنا .
فقال له أكتب خطك بها . فكتبه وسلمه الى الموفق فسلمه الى غلام
من خاصته وانصرف الطائي . فاستقبحت ما صدر منى فيه ، وعظم في
نفسى لتصديقه صاحبه وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه .
فدنوت من الموفق وقلت له : أيها الأمير جميع ما أدّيته اليك عن
صاعد منى تقوّلته ، وقد قبض في عيني ، وسيدى الأمير خير بين الصفح
عنه والعقوبة عليه . فقال : أحسنت بارك الله عليك . ثم أمر برد الطائي

فقال لهم لم تتقرب اليّ بذكر هذا المال . فقال أيها الأمير يعني من ذلك ما تولاه من اصطناعي فقال له : ليس يقنعني إلا أن تحلف برأسي على هذا المال وفي أي وقت دفعه إليك . فقال : يعفني الأمير من ذلك فقال : والله لا فعلت . فقال : وحق رأس الأمير ماله عندي درهم واحد فضلا عنه ، ولكني لما رأيته قد عاذ بالدعوى عليّ ، تيقنت أنه لم يبق له حيلة في المدافعة عن نفسه . فعملت على تحمّل هذا المال ووالله ما أملكه ، ورجوت أن أصل إليه بجاهي ولطيف حيلتي . فاستحضر الموفق الخط ودفعه الى الطائي . فقال له خذّقه . ثم تقدّم باعفاء صاعده من المطالبة .

* *

١٥ — وكان نجاح بن سلمة معما يؤثر عنه من زعارة أخلاقه ، وقبح نجاح بن سلمة تسلطه ، يحب التبسّط على طعامه ، ويحسن المكافأة عليه . فحدثني يعقوب * بن اسحق بن تميم . قال : أقام اسحاق والذي ببغداد خمسا وعشرين سنة في رفع حسابه ينقض الكتاب جماعته ويسلطون الاعنات عليه . قال لي يعقوب ، فحدثني أبي أن أغلظ الكتاب بأسرهم كان عليه نجاح ابن سلمة . قال فلما أفرط على سوء تحكمه جلست في منزلي ، فمرّ به اسمي فقال قد عزم اسحاق بن تميم عليّ أن يتربص بنا كما كان يتربص بمن كان قبلنا . ثم نظر الى بعض المضمومين اليه فقال : بكر الى اسحاق بن تميم فأحضره الدار الى أن انصرف . قال فباكرني فظّ من الجند لم

أملك نفسي معه حتى صار [بني] إلى دار نجاح . فوجدناه قد ركب فخصلني
على الباب وجلس معي وتعالى النهار واشتد جوعي . فقلت له : أمضى معي
إلى المنزل لنأكل جميعا ونرجع ، فأبى . فقلت لحاجب نجاح (ورأيتك
متمكنا من داره) : أصلحك الله ، اني قليل الصبر على الجوع ، وأخاف أن
يتأخر الاستاذ وأضعف عن حجتي في حضوره بغلبة الصفراء على ، وقد
سألت هذا الرجل أن يطلق لي الذهاب إلى منزلي لأأكل وأرجع
فأبى . قال : لم لا تأكل هاهنا . واجلسني في سبخا^(١) فيها واستحضر الطعام ،
فاحضرت مائدة نجاح بن سلمة ولم يبق حلو ولا حامض ولا حار ولا
بارد إلا نُقل علينا . حتى إذا بلغت إلى الحلواء من الطعام دخل الدار نجاح
فجلس في المجالس . ورآني في دخوله ومكاني من السبخا فبعث إلى غلاما
له [يقول] : بحياتي استتم أكلك ولا تتجاوز فيه . فأقمت حتى فرغ الطعام
وجاؤني بالغسل والبخور ثم قمت . فلما رأني ضحك إلى وقال من علمك
على هذا . قلت : التوفيق . قال : أجل . ثم قال لي ارفع حسابك كيف
شئت واحشه فقد أمنك الله من اعتراضك بشيء تكرهه . قال يعقوب
قال لي أبي : فعدوت إليه بحسابي فوالله ما زاد على التوقيع في الجماعات
بامضائها وتخليدها . ثم قال : متى تعزم على بلدك . فقلت ياسيدي انما
انتظر فيه اذنك فكل شيء لي ففروغ منه . فقال : اجعله بعد صلاة الجمعة .
قلت : افعل . ثم قال لي تروح إلى لائقك في حوائج لي ، فقدرت أن

(١) كذا في الاصل في المكانين

يحملني في الحوائج غرم الألف دينار . فلما رحت اليه ، دخلت وهو خال .
فقال لي : انك ترجع الي بلد قد ينس منك فيه أهله ، فادخل الجار
من جيرانك الخشبة في حائطك ، والجار في البستان قد تحييف حدودك ،
فهب لي ما بينك وبينهم . قلت : افعل .

قال : وترى ببلدك جماعة قد ارتفعوا ، أبناء خاملين فلا تهرهم بدقة
اصولهم ، والصدق عما كان عليه سلفهم ، فانه يزرع لك المقت في قلوبهم .
قلت : افعل .

قال : وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكر لك بخير
ولا شر . قلت : افعل .

ثم أومى الي يعاتقني . قلت ياسيدي حوائجك . قال : هي ما عديته
عليك . انك قد حلت مني بانسائك محل القرابة الذي أسر بصوابه ،
ويغني زلله ، فان حزبك أمر في بلدك فلا تعدل به عني ، وأنا استودعك
الله . فانصرف عنه وأنا على غاية من الشكر .

١٦ — وحدثني محمد * بن يزيد (وكان حسن التقشف ، سديد
الرأي) قال أطلق جماعة من حبس أحمد بن طولون كانت قد وقعت بهم ظنة
بالتلصص وكانوا ينزلون كورة أهناس . فاني عند بعض أصحاب الأكسية
حتى وافاه غلام أصفر ، خبيث المنظر ، متمكن من نفسه من الخارجين من
الحبس . فرحب به وجلس عنده وهناك به سلامته . ثم سأل عن حاله . فقال :

محمد بن يزيد
ومسافر

خرجت من الحبس كما تراني وماعني نفقة تبلغني منزلي . فقلت له : ما اسمك
فقال : مسافر . فقلت له « يافتي قدم الله في أمورك ولا تعدل عنه ، فان
الراحة في ظله » . فقال لي : ياسيدي الحق فيما قلته والنفس
أمارة بالسوء والتوفيق الى الله دون خلقه . فاعجبني جوابه وقلت له : كم
يكفيك الى منزلك . فقال : دينار ، فدفعته اليه وقلت له : اذا حدثتك
نفسك باخافة السبيل فابعث اليّ حتى أمسك من رmqك ، واكف
فاتتك . فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهنسي بتسلط
رجل من اللصوص في جمع كثير على كثير من المواضع وكبسهم
الضياع . وكانت لي أسلاف بسمسطا ونواحيها ، فخرجت لقبضها في رفقة
من التجار قد حملوا البز والطيب وما يحتاج اليه للارياف . فانا بنواحي
الحرقة حتى لقينا قطعة من اللصوص فساقطنا بأسرنا الى موضع منقطع
عن المارة وفيه شاب أصفر راكب فرس ومعه مقدار خمسة فوارس .
فعرضت الجماعة عليه الى أن بلغني فتأملته فوجدته مسافراً فأكب على
رأسي وتحفني بي ثم قال لاصحابه : أخطأ والله حزركم هذه رفقة شيخني
وسيدي ووالله لا دخل اليّ منها شيء ، وسار معنا حتى أخرجنا الى الأمان
ثم قال لي : أنا أعلم أنك لا تأكل طعامي ، ولا تقبل شيئاً مني ، وقد والله
ياسيدي حببت اليّ مجانبه ما أنا بسبيله ، فنشدتك الله لما جعلتني طريقك
في الرجعة ، فتضمنت له ذلك ودخلنا مدينة أهناس فشاع خبر ما أولاني
في الناس وكان المتقلد لها رجلاً من أصحاب أحمد بن طولون يعرف

بفهم متقدما عنده ، أثيراً لديه ^١ فبعث الى وعرف مذهبي . فقال . قد
أحفيت المسألة عن هذا الغلام فرأيت أنه لا يرى القتل ، ولا هتك الحرم ،
وانما يتعلق باطراف الاموال ولا يبلغ الاجتياح ^٢ . وأنا أسألك أن تسفر
بيني وبينه . فاني أومنه واكرمه واقده سيارة البلد . فرجعت في حاجة
فهم اليه فالفيتة والجماعة بين يديه ، فأدبت اليه رسالته وأعلمته أن هذا
الرجل صحيح الضمان . فقال : يا سيدي ما بيني وبينه في الاعمال الا
أنس الناس به . ثم قال لأصحابه : من يساعدي على الخروج الى الله
عز وجل . فقالوا بأجمعهم : نحن . فسار معي حتى اذا قربنا من اهناش وضع
حبلا في عنقه وقال ادخل بي في زي الاسرى وهذه الجماعة ، فدخلوا
والناس يبكون لما اتفق لهم من حسن الهداية ، ورأى الناس عجبا من
سوق شيخ مثلي ضعيف رجلا قد أعجز خيل السلطان . فطلب فهم أن
يقبل له خلعة فامتنع من ذلك وأضاف أصحابه الى فهم وأقام الى وقت
الحج فخرج الى مكة راجلا ثم فقدته .

١٧ — وحدثنى أبو حبيب * المقرئ . قال : ضاقت أحوالي فلم المقرئ وراعى
يبقى الى الآجارية أحبها ، ومنزلا أسكنه . فبعث المنزل بألف دينار غنم
وخرجت الى مكة بالآجارية . فقلت لها : يكون هذا المال في وسطك .

(١) أثيراً لديه : أي عظيماً أو مختصاً به ومقدماً على غيره . (٢) الاجتياح :
الاستئصال . ومنه الجائحة للشدة ، المحتاجة للمال .

فكانت اذا نزلت في منزلٍ حفرت في خيمتها حفيرة وأودعت المال فيها وطمتها ، فاذا نودي بالرحيل أثارته وشدته في وسطها .

قال : فاتفق أن رحلنا عن منهل ونسيت المال في الحفرة ، فأخبرتني الجارية بذلك . قال : فخار فكري ، وطاش^١ روعي ، ولم أدر ما أعمل . ودخلنا مكة فحدثتني نفسي ببيعها فلم يطعنني قاي . فلما رجعنا ونزلنا المنهل الذي خلقت فيه الكيس ، رأيت صحراء وغلام على رابية يرعى غنيمات له . وأقبلت أدور وأنظر الى الارض . فقال لي : ويحك ما تطلب . قلت : « شيئاً أودعته أرض هذا المنهل » . فقال لي : صفه لي : قلت كيس أحمر فيه مال . فقال : ومالي فيه ان دلتك عليه . قلت نصفه . قال : هاهو ذاك في الرابية . فلما رأى تحيري فيه قام حتى أخرجه ووضع بين يدي ، فحمدت الله وقسمت الكيس قسمين وخيرته أحدهما . فقال لي : اني أرى قسمي منه كثيراً وأنا أكتفي بنصف أحد القسمين ، فقسمته بقسمين . فقال تقسمه أيضاً بقسمين ففعلت . فقال ما أعجب أمرك ! اتركه كله حراماً ونصفه حلالاً وأخذ منه شيئاً هذا مالا يكون ، انصرف بمالك . فقلت له : يا غلام أنت حرٌّ أو مملوك . فقال : مملوك . فقلت : لمن فقال لشيخ هذا الحى .

فدخلت الحى فالفيت الشيخ والناس عنده . فقلت له : رأيت

(١) الطيش : النزق وذهاب العقل فكأنه يريد ذهب روحه غماً . وأكثر ما يستعملونه مقر ونا باللب والعقل والفكر وما أشبه ذلك .

غلاما في المنهل يرمى غنيمات وأسالك أن تبغنيه . فقال اشتريته بعشرة
دنانير . فقلت أنا آخذه بعشرين . فقال ان لم أبعه . قلت أعطيك به
ثلاثين دينارا . فقال لمن حوله : أما تسمعون ما يقول ؟ وما يحملك على
أن تبذل به هذا الثمن . فقلت جمع على ضالة فقدرت ان أعتقه وابتاع
الغنم برعاها له وأملكه إياها . فقال : قدرت أن تفعل به هذا لفعة واحدة
من الجليل أولا كها ، ولنا في كل يوم منذ ملكناه حسنة تقتضى أكثر
مانؤيته له . وأنا أشهد الجماعة أنه حر لوجه الله ، وإن ما يرعاه له . فانصرف
عن الشيخ وقد بلغ لي ما أمثله له .

١٨ - وقلت يوما لآحمد بن محمد المعروف بابن * أبي عصمة كاتب ابن أبي عصمة
أحمد * بن طغان . فقال (وكان لي صديق مضافيا) : قد كثرت^١ الناس
في أصابتك مع ابن طغان : ما أخطوا في التكثير ، وكان صاحبي سمحا
ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون ألف دينار ، فسألته عن تلك
الجهة . فقال : كان لا يؤسك مالا ، ولا يعتقد^٢ ذخيرة . فقال لي يوما :
« لم يُصبح في حاصلي درهم واحد فاستسلف لي شيئا أنفقه » . فمضيت الى
منزلي فحملت اليه ألف دينار ، فلما وضعها بين يديه فتح الكيس
١) كثرت : بالتشديد كما كثرت . أى أكثر وا في تقدير المال الذي أصبته منه
أو أكثر وا من القول في صحبتك إياه . وقوله ما أخطوا : مقول فقال الخ .
٢) قوله ولا يعتقد ذخيرة : العقدة بالضم الضيقة والعقار الذي يعتقده صاحبه
ملكه وهذا منه .

وقلب ما فيه ، فلما رأى الدنانير صحاحا جيدة . قال : ما هذه دنانير صيرفي ، فبحياتي ممن أخذتها . فقلت له : كانت عندي . فقال ما طننت هذا موضعك وسكت .

وكان له في كل شهر ألف دينار تُزل^١ جثته به عند استيجابه إياه . فقال لي : ما هذا قلت النزل فقال اقض به دنانير الرجل . ثم جثته به مرة أخرى بنزل الشهر الثاني فقال : أصرفه الي الرجل قلت قد قضيته فقال أصرفه اليه كما أمرك . فلم يزل يفعل بي هذا حتى مضى ثلاثون شهراً حصلت فيها ثلاثين ألف دينار .

* *

١٩ - حدثني هرون بن ملول قال حدثني ياسين * بن زرارة . قال : كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال ، فاشى النعمة ، سمح النفس . وكانت له دار ضيافة وجرايات واسعة ، على ذوى الستر بالقسطاط . فهرب من المتوكل * رجل كنى عن اسمه^٢ خطير المنزلة ، لميل كان من المنتصر * اليه . وتبرأ من حاشيته ولبس جبة صوف فانهى به المسير الى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد يخاف أن يعرف فنزع الى أريافها فانهى به المسير الى ضياع النصراني . فرأى

نصراني
ومستتر

(١) النزل : (بضم فسكون وكذا ضبط بالاصل كالنزل بضمهتين) ماهي للضيف ، والعطاء والرابع الخ وكأنه أراد المرتب له . (٢) كنا : (مخففة كذا وجدت بها مضبوطة بالاصل) أى تستر عن اظهار اسمه . وقوله خطير المنزلة : أى عظيمها .

منه رجلاً جميلاً آمراً، وسأله النصراني عن حاله فذكر أن الاختلال انتهى به إلى ما ظهر عليه، فغير هيئته وفوض إليه شيئاً من أمره فأحكمه فيما أسند إليه واضطلع به، ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره، وقام به أحسن قيام. فكان محل الرجل الهارب من النصراني يفضل كلما ذهب له.

وورد على النصراني مستحث بحمل مال وجب عليه [وسأله] النصراني عن خبر الناس بالفسطاط. فقال: ورد خبر قتل المتوكل وتقلد المنتصر ووافا رسول من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يُعرف بفلان بن فلان. ويوعز إلى عمال مصر والشام بأن يتلقوه بالكرمة والتوسعة فيلحق أمير المؤمنين في حال تشبه محله عنده. فعدل النصراني بالمستحث إلى بعض من أنزله عليه. وخلا الهارب بالنصراني فقال: أحسن الله جزاك فقد أوليت غاية الجميل، واحتاج إلى أن تأذن لي في دخول الفسطاط. فقال: يا هذا إن كنت استعصرتني فاحتكم في مالي فإني لا أرد أمرك، ولا أزول عن حكمك، ولا تنأى عني. فقال له: أنا الرجل المطلوب بالفسطاط وقد خلقت شهلاً جماً، ونعمة واسعة وإنما عدل بي الخوف على نفسي، فقال له: ياسيدي: فالمل في يدك، وما عندك من الدواب فإنت أعرف به مني فاحتكم فيه. فأخذ بغالا وماصلح لثله وخرج النصراني معه وقدّم كتاباً إلى عامل المعونة من مستقره. فتلقاه عامل المعونة في بعض طريقه ووصاه بجميع الأعمال

بالنصراني . وصار الى الحضرة فأصدر اليهم الكتب في الوصاية . الى أن قدم بعض العمال المتجرة ، فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه فخرج الى بغداد . قال لي هرون ان ياسين قال له أن النصراني حدثه : أنه دخل بغداد فلم يربها أوفى محلا ، وأكثر قاصداً منه . ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلماناً حتى استقبلوني فلما رأني قام على رجليه . ثم قال : « مرحباً باستاذي وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » . وأجلسني معه وانكتب عليّ ولده وشمله ، وانا أنا مل مواقع الاحسان من الاحرار . وسألني عن حالي في ضياعي فأخبرته خبر العامل وكان أخوه في مجلسه ، فنظر اليه من كُنّا عنده وقال له كنت السبب في تقليد أخيك فصاراً كبير سبباً في مساءتي . فكتب من مجلسه كتاباً اليه بجملة الخبر وأنفذه . وأقامت عنده حولا في أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد عليّ كتب أصحابي خبروني بالنصراني العامل عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري . وأخرج أمر السلطان في اسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي على يسير من مالها .

قال ياسين فكتب النصراني ببغداد حجة^(١) أشهد فيها على نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده (وسماها وحددها) لهذا الرجل الذي كان هرب وصار بها اليه . فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع فاني أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك . وقال

(١) في الاصل : كتاباً تم كتب فوقه (حجة) .

له : عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الاضغان عنك ، ولست أقطعها بقبض هذه الضياع عنك . ورجع النصراني الى القسطنطين فجدد الشهادة له فيها ، فلما توفي النصراني اقرها في يد أقاربه ولم يزالوا معه بافضل حال .

٢٠ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه . قال : كان يحيى * بن يحيى البرمكي خالد بن برمك قد تبني الفضل * بن سهل وأجراه مجرى الولد ، ونظر اليه ولده بعين الأخ لهم . فضمه الى المأمون . وكان يحيى بن خالد حسن المعرفة بالنجوم ، والفضل بارعا فيها . فاتفقا على ما توجه النجوم في مدد البرامكة ، وتبيننا سعادة تنهى اليها حال الفضل ، وكان كل واحد منهما كالمشاهد لما انتهى اليه . وأوقع الرشيد بالبرامكة فاعتصم (١) ايقاع الرشيد بالبرامكة وقتله جعفر ا كان ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة ١٨٧ بعد أن كانت الوزارة اليهم ١٧ سنة وفي ذلك يقول الرقاشي :

أيأسبت ياشر السبوت صبيحة * وياصفر المشؤم ماجئت اشأما
أني السبت بالامر الذي هدر كننا * وفي صفر جاء البلاء مصمما
ومما يؤثر عن يحيى في نكبتة هذه وقد كتب اليه أحد أصحابه يعزیه فكتب اليه
الجواب :

أنا بقضاء الله راض ، وبالحيار منه عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد الا بذنوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد ، وما يعفو الله أكثر ، والله الحمد .
وحدث العباس بن زريع عن سلام بن سلامة الا برش وقد وگل بباب يحيى . قال لما دخلت على يحيى في ذلك الوقت وقد هتكت الستور ، وجمع المتاع . قال لي : يا أبا سلامة « هكذا تقوم الساعة » . قال سلام فحدثت بذلك الرشيد بعدما انصرفت اليه فاطرق مفكرا .

الفضل بمجمله من خدمة المأمون ، وكانت يده تعجز عما يصلح يحيى
 وولده عند الرشيد . فوجه اليه : « ياسيدي قد كرّني أمرك ، ولست
 أصل الى حسن الدّفاع عنك فأحلّ ذمامه في هذه المحنة ، فاني أرجو
 أن أقضيه عنك عند انتهائي الى سعادتي .

قال ابن أبي يعقوب خدثني أحمد بن أبي خالد * الأ حول . قال :
 اتصل بي من ضيق يحيى ما كدّر عيشي . وذكرت احسانه الى ،
 وحسن صنيعه بي ، فضاق بي العريض . ووجدت ما أملكه أربعة
 آلاف دينار فقسمتها قسمين . وحملت أحدهما وتوصلت الى الدخول
 اليهم في مجلسهم ، فوضعتها بين يدي يحيى بن خالد . فقال لي :
 « ليس يحسن بنا أن نفرّك من أنفسنا ، ولا أن نعدك عنا مالا تنقّ به
 الأيام لك ، وقد انتهى أمرنا . فان كنت تُقدّر أن أحوالنا
 تصلح فأمسك عليك مالك » . فقلت : « ما ذهبت في ذلك إلاّ
 لقضاء بعض الحق عني . فأخذ بيضاء فكتب فيها : « يا أبا العباس أيّدك
 الله ، هذا رجل خلص على تجربتنا ، وأحسن بنا ، مع استحكام يأسه منا ،
 وأنا أذكرك العهد ، وأرغب اليك في قضاء حقه عني ، وتخفيف ثقله
 عليّ ، أحسن الله عونك ، وكفّاك ما أعجزك » . ثم نأها وقطعها
 عرضا بقطعتين . وقال لي : احفظ هذا النصف معك ولا تفرط فيه
 فيفوتك حظ كبير .

ثم فرّق ذلك المال في قوم ضعفت أحوالهم بما لحقه . وانصرفت

من عنده وقد آيسني من رجوع حاله ، وأعطاني نصف رقعة لا أقف
على ما توصل اليه ، وتقضى أمرهم ، ومات الرشيد بطوس ، وغلب
الفضل بن سهل على المأمون بخراسان ، وخلفه على جميع أمره . وشجر
الأمر بين الأئمين * والمأمون فظهر المأمون عليه . وصحت وزارة الفضل
ابن سهل للمأمون ، ووردت بادرة المأمون بذلك الى سائر النواحي ،
وطالت عطيتي واشتدت فاقتي ، وفقدت من كان يؤثرنى وينجاش الى .

فاني لجالس في منزلي في يوم قد أعوزني فيه قوت يومي ، وعلى
ثوب خلق وليس لي إلا خلة أركب فيها . حتى دخل الى غلامي .
فقال : بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين * فلبست ثياب
ركوبي وأذنت لهم وتقدمهم رئيس لهم تبينت اعظامي في نفسه . فقال :
الأمير طاهر يسألك المسير اليه . فنهضت فلما دخلت قد منى وأعظمني
وقال : ورد كتاب الوزير أيده الله علي في حملك الى حضرته على حال
تكرمة ومعك نصف الرقعة التي دفعها اليك يحيى بن خالد . وأمرني
بدفع ألفي دينار اليك لمولتك ومخلفيك . فقويت نفسي ، وانفسح
رجائي ، وخرجت بعد قبض المال مع رسول طاهر . فلما دخلت
الى الفضل بن سهل لقيني بأجمل لقاء ، وسألني عن نصف الرقعة
فأحضرتها . ثم أسر الى بعض خاصته شيئا ففضي وجاء برقعة فوصلها
بها فكلمت . فلما استتم قراءتها بكى . ثم قال : « رحم الله أبا العباس
فما كان أعرفه بتصرف الأيام ، واستدعاء الشكر فيها ، والتجيز من

الذم بها . ثم أدخلني إلى المأمون * وواكد ' ' أمري عنده حتى بلغت معه إلى أخص أحوال كتابه ، ومن وثق به في مهم أمره .

٢١ — وحديثي على المتطبب المعروف بالديدان (وكان حسن المعرفة بكتب ^٢ أفلاطون ورموزه ، ومبرزاً في الطب) قال : خرجت

على المتطبب
وولد أفلاطون

مع رجل يُعرف بابن بروخ * من قواد السلطان إلى طرسوس . فغنم سبياً كثيراً . وكان السبي في دار خراب في الموضع الذي نزل فيه فدخلت لتأمله . فوجدت في السبي شاباً حسن الصورة جميل السمات وأكثر السبي حوله . ومكانه منهم مكان المولى من الماليك ، يتسرعون إلى جميع ماؤنمى إليه ، ويكفونه أخذه بنفسه . فكلمت فيه بعض السبي وسألته عنه . فقال لي : هذا من ولد أفلاطون . فارتحت إليه لانتفاعي بجده ودخلت إلى ابن بروخ فقلت : هب لي من هذا السبي غلاماً . فقال لي : خذه . فدعوت بغلام يشتمل على أمرى ووصفت له الشاب الذي في السبي . وقلت له : إذا سلمه إليك غلام ابن بروخ فأطعمه مما أعددت من طعامي ، وألبسه من فاخر ثيابي ، وطيبه ومكنه من مجلسي إلى أن انصرف اليكم . وتشاغلته بأمور ابن بروخ

(١) واكد : من وكديكد كوكد أي أحكم أمري عنده ومثله أكد قال في القاموس والتوكيد أفصح من التأكيد . (٢) كتب أفلاطون تجدها مفصلة في ج ١ ص ٥٤ من عيون الأنباء . وقد عددها ٤٧ كتاباً . وذكر منها الوزير القفطي ٣٣ كتاباً في أخبار الحكماء ص ١٤ من النسخة المطبوعة بمصر .

إلى آخر النهار ، وانصرفت فوجدته على الهيئة التي آثرتها ، ورام مني مايفعله غلمانى من الوقوف فمنعته من ذلك . فقال لى بالرومية : ياسيدى ماالذي وعدتكَ به نفسك عني ، فان كان عندى بذلته لك وكنت حقيقا به . وان لم يكن لديَّ صدقتك عنه ولم اتغنم منك مالا يشبهنى تغنمهُ . فقلت له : قد اقتبسنا من جدك أنواراً حسن بها أثره علينا ، ووجب علينا بها وقاتيك بأنفسنا . فقال : « والله ان الطباع التي لاسلافنا معنا ، ولكننا شغلناها فى رعى الخنازير . فبعدتُ بها مَن قربتنى له ، وأكرمتنى بسببه » .

فخبرته بين الدخول معى الى مصر على أن اشاطره ملكى وعيشى أو احتال له فى رده الى بلده ، فاخترار رده الى بلده . فلطفت له بانفاذ بعض من أثق به . مع الرسل المتوجهين معه حتى وصل الى بلده .

* *

٢٢ — وكانت تكتاب عجائزنا عجوز جميلة المذهب ، ضعيفة الحال محمد بن سليمان والمؤلف تُعرف بأم محمد . فيجتمعن على كل صاحبة وكنت أخصها بكفائتها . فلما دخل محمد بن سليمان * مصر نزل فى ظاهرها . واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب " الطولونية " ، فاستصفى ماله بالسوط ، وعظيم الاخافة . فراعى أمره ، وخفت أن يلحقنى عسفهُ . فانى جالس فى يوم من الأيام وأنا خائف حتى دخلت جارية أم محمد العجوز فسلمت

(١) يعنى عمال الطولونية . وهى كلمة يستعملها كتاب ذلك العصر لهذا المعنى .

على ، فظننتها والله تقتضي بعض ما عودتها . فقالت : سيدتي أم محمد
تقرأ عليك السلام وتقول جاءني الساعة رسول ابن عمي وسيدى أبي
على محمد بن سليمان يسأل عني فعرفته اني كنت في كفائتك ، والرسول
على الباب يريد الوصول اليك . فقلت : يدخل . فدخل شاب حسن
الصورة يعرف بناشي . فقال : جزاك الله خيراً فقد وصفتك ابنة عم
سيدى بما أرجو أن يحسن أثره عليك . ودعا بأصحاب الارباع ، فتقدم
اليهم بأن يمنعوا من تعرضي ^١ فعرضت عليه برأ . فقال : وأى برأ أكثر
مما أتيتنا ، وانصرف عنا . فرجع الى ناشي هذا برقعة بخط ابن
سليمان : « سر الينا لننظر في أمرك ، ونبلغ فيه محبتك ، فاني أرى لك
متقدّم حرمتك ، ووكيد أسبابك ، ان شاء الله » . ومالحقني منه شيء
أكرهه حتى انصرف عن البلد .

ابن أبي شراعة ٢٣ — وكان أبو الفياض * سواز بن أبي شراعة الشاعر صديقا
وال مؤلف لي ، ومائلا الي . فلما اعتزم على الرجوع الى العراق سأني ان أكتب
له شيئا من شعري فكتبت له مقدار خمسين ورقة منه ، وكان يستحسنه
ويعجب به . فصار الى بغداد وعرضه على جماعة الأحرار ^٢ . وأحسن
وصفي لهم بسلامة مذهبه ، وطهارة نيته . ودخل محمد بن سليمان مصر
وقد ردّ البريد بها الى أبي عبيد الله * أحمد بن صالح . فسأل عند دخوله
(١) في الاصل : من تعرضني . (٢) كذا في الاصل ولا أعلم من هم الأحرار الا
أن يكون أراد غير جماعة السلطان من الممالك والأتراك فانهم اذ ذاك موالي الدولة .

إياها عن أحمد بن يوسف فأحضر أحمد بن يوسف * كاتباً كان لأحمد *
ابن وصيف ولا بن الجصاص * بعده . فقال له : تعرف أبا الفياض .
قال : لا . فقال لهم : ليس هذا الرجل الذي طلبت فأحضرت ، فلما
رأني استشرف إليّ وقال : تعرف أبا الفياض . فقلت : « ذكرك الله وإياه
بكل صالحة » نعم أعرفه وكان خلاً لي . فقال هل أنشدك من شعره :
ظللنا بها تستنزل الدنّ صفوه فينزل اقباسا بغير لهيب
قلت : لا ياسيدي ولكني أنشدته إياه من شعري . فضحك
وقال : والله لقد اشتقت الى الدخول الى مصر من اجلك . وكان والله
افضل عون لي على اموري .

٢٤ — وحدثني أحمد بن * سقلاب . قال : كان بمصر رجل من الفقهاء علان بن المغيرة
مشهور الاسم ، وله حلقة عظيمة بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وافى
علان بن * المغيرة^{وفقيه} فلما رآه مقبلاً نحوه قام اليه على رجله ثم خطا اليه
حتى لقيه . فأكثرت الجماعة قيام شيخ مثله الى حدّث مثل علان وتحفّيه
به وعرض نفسه عليه ، وانه لم يدع شيئاً يفعل له تابع بمتبوع إلا بذله ،
وأسررنا الموجدة عليه . فلما قام علان . قال لجماعتنا : ما أعلمني بما
أضمرتم ولكني أريكم عذري فيما خرجت اليه .
كانت عندي ألف دينار ودیعة لرجل بالمغرب قد طال مقامها ،
(١) في الاصل : ابن علان بن المغيرة . ثم أعاد ذكره بلفظ علان فقط .

وطالب زوج ابنتي بادخال امرأته عليه . فجلست أمها بحضرتي فقالت لي : ما الذي تراه فيما قد ألحّ فيه هذا الرجل . فقلت لها : نستعمل فيه التجوّز . فقالت لي : لنا حساد نخاف شماتهم ولا بُدّ من أن تعينني على التجمّل . فقلت : ان كاد ما تريدن في قدرتي لم أخل به عليكم . قالت : هو في قدرتك . قلت : ماهو . قالت : تمكّنتي من هذه الوديعة ونحتاط فيما نبتاعه من الجهاز حتى يصل إلينا ثمنه في أي وقت أردناه ، وندخل هذه الصبيّة على زوجها ، فان جاء صاحب الوديعة بعنا ما اشتريناه ولم نوضع فيه إلّا مايسهل علينا غُرمه . قلت : هذا قبيح عند الله وعند خلقه . فلم تزل تلح بي وتحتال عليّ حتى أجبتها . فجهزت ابنتها بجميع المال ، وأدخلتها على زوجها .

فلم يمض بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحب الوديعة يطلبها . فقلت لها ما تفعلين . فقالت : أمضى فاحمل المتاع وأبيع ، فمضت الى ابنتها ورجعت الىّ فقالت : لا تشغل نفسك بهذا المتاع فقد حلف زوجها بطلاقها أنه لا يخرج منه شيء عن منزله . فسقط في يديّ ، ورأيت الفضيحة في الدارين متصدية لي . فوضع افطاري بين يديّ فلم اطعم ، واعتراضي ماخفت منه على عقلي وبت بليلة مابت بمثلها ، وأنا أتئين سهولة ذلك على زوجتي في جنب ما أحرزته لبنتها . ثم انتبّهت قبل الفجر بمنازل فصحت بالغلام أسرج لي . فقام وأسرج وقال : ياسيدي أين تمضي . فقلت : ليس لك الاعتراض عليّ ، وركبت وسرت بطوع عنائي ، فلم يزل بغلي يسير

حتى دخلت زُفَّاق علان بن المغيرة . فوقفت على باب داره وصباح
الغلام بالبواب وعرفه بموضعي . فسمعتُ حركة في داره ثم فتح الباب
وأذن لي بالدخول ، فدخلت عليه فوجدت بين يديه شمعة وهو
يكتب جوابات كتب وكلائه . فلما رأيته قام إلى وقال لمن حضره من
الغلمان : تنحوا . وأقبل عليّ فقال : والله لو بعثت إلى لسرت إليك ولم
أجشمك السعي إلى ، فأشرح لي أمرك . فقلبتني العبارة وحالت بيني
وبين الكلام ، فما زال يسكنني حتى نصصت له اتفاق الوديعة .
وهو مغموم بأمرى . ثم قال : فكم هذه الوديعة . فقلت ألف دينار .
فضحك ، وقال : فرجت والله ! عني . ما توسمتُ أني أملكها . فكان الغم
يقع بها ، فامّا وهي في القدرة فما أسهلها عليّ ، وأخفها لدي . ثم قال
لغلامه : جئني بتلك الصرار التي وردت علينا من المغرب في هذا
الشهر ، فجاء بأربع صرار فنظر فيما عليها وجمعه وقال : هذه ألف
دينار وخمس مائة دينار ، ألف للوديعة ، وخمس مائة تصلح بهما بينك وبين
من عندك . ثم قال لي : متي أشكر أفرادك إياي بعد الله عز وجل
ذكره بتأميلي في حادثة حدثت عليك فأعاني الله على مكافأتك .
وأضاف إلى من خفرتني إلى منزلي . فقالت الجماعة : قد سمعنا عنك ،
وعلى عهد الله أن لقيناه أبداً الاقياما .

*
* *

الطالبي ووالده

٢٥ — وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها يوسف بن المؤلف

ابراهيم والدي بخدم . فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه مقدّرين أن يجدوا فيها كتاباً بمن ينفذ . فحملوا صندوقين وقبضوا علىّ وعلى أخى وصاروا بنا الى داره، وأدخلنا اليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل من أشرف الطالبين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وادخل خادم [يده] فوق دفتر جراياته على الاشراف وغيرهم . فاخذ الدفتر بيده وتصفحه وكان جيّد الاستخراج فوجد اسم الطالب في الجراية فقال له وأنا اسمع : كانت عليك جراية ليوسف بن ابراهيم . فقال [له نعم : يا أيها الامير] دخلت هذا البلد وأنا مملق^١ فأجرى علىّ في كل سنة مائتي دينار ومائتي أردب قمح اسوة ابني الارقط والعقيق وغيرهما . ثم امتنت^٢ يداي بطول الامير فاستغفيتها منها . فقال لي : « نشدتك الله أن قطعت سبباً لي برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم » . وتدمّع الطالب . فقال أحمد بن طولون : « يرحم الله يوسف بن ابراهيم » . ثم قال لنا : انصرفوا الى منازلكم لا بأس عليكم . فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا وحضرنا العلوى وقد أحسن مكافأة والدنا في مخلفيه .

٢٦ — وحدثني موسى بن مصلح . قال : أتقذ الى حسن بن * مهاجر
موسى بن مصلح ورجال من التجار
كاتب أحمد بن طولون عشرة رجال من التجار . وقال اعتقلهم بمعزل
(١) المملق : المقتقر . (٢) امتنت : من المنّة . وفي معجم الادباء (وقد ذكر
الحكاية) امتلأت . والطول : الغنى عن فضل وسعة . وما تجده في هذه الصحيفة بين
الدائرتين فهو من المعجم .

عن المسجونين حتى أعرضهم في غدي على الأمير، فتسلمت منه قوماً
تشهد لهم القلوب بالفضل. فآنست وحشتهم، وفسحت رجاءهم. فقالوا
لي: قد شكرنا جميل صنيعك، ولنا إليك حاجة. قلت ما هي: قالوا فينا فتى
يضعف قلبه عن لقاء الأمير فتقبل منا بدلاً به، ولك علينا مائة دينار.
قلت: أنا أفعل إن وجدتم من يجيب إلى هذا (وكان عندي أنه كالممتع).
فأخذ شيخ منهم رقعة وكتب فيها إلى رجل كان قد أولاه عارفة فسأله
ذلك، فأجابه الرجل أني بأثر رقمتي. قال موسى: فتوهمت أن هذا قول
لا ثمر له، فلم أشعر به حتى وافى. فقال ما أخرني عنك إلا أني جددت
وصية، وأحكمت ما خفت أن يقطعني عنه ما دعوتني إليه. وقال: لست
أجيبك إلى ما التمت حتى تكون المائة الدينار من عندي دون
جماعتكم وأخرجها من كمه ودفعتها إلي، وصرفت الرجل وأقام هذا
مكانه فلم أتبع منه غم بهذا ولا قلقاً له. وظلوا إليتهم يتحدثون ويتناشدون
والسلامة غالبية على خواطرهم حتى أصبحوا وأخرجهم حسن بن مهاجر
فعرضهم على أحمد بن طولون. فتبين تحامله عليهم. فأمره بترك التعرض
لهم فانصرفوا وكانت الطافهم ترد على حتى فقدتهم.

٢٧ - وحدثني أحمد * بن أيمن كاتب أحمد بن طولون. قال: تاجر
وزوجته دخلت بالبصرة إلى تاجر ذهب عنى اسمه، فرأيت بين يديه ابنين له
في نهاية من النظافة. فلما رأني أقبل بنظري إليهما، قال لي: أحب أن نعوذهما

فَفَعَلْتُ . وَقُلْتُ لَهُ : اسْتَجِدْتُ الْإِمَّ خَسَنَ نَسْلِكَ . فَقَالَ : مَا بِالْبَصْرَةِ
اقْبَحَ مِنْ أُمِّهِمَا وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا . وَلَهَا مَعِيَ خَيْرٌ عَجِيبٌ فَسَأَلْتُهُ أَنْ
يُحَدِّثَنِي .

فَقَالَ : كُنْتُ أَنْزِلُ الْإِبِلَةَ وَأَنَا مَتَعِيشٌ ، فَحَمَلْتُ مِنْهَا تِجَارَةً إِلَى
الْبَصْرَةِ فَرَبِحْتُ ، وَحَمَلْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْإِبِلَةِ فَرَبِحْتُ . وَلَمْ أَزَلْ أَحْمِلُ
مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَأَرْبِحُ وَلَا أَخْسِرُ حَتَّى كَثُرَ مَالِي وَتَعَالَمَ النَّاسُ أَقْبَالِي
وَأَثَرْتُ السَّكَنِي بِالْبَصْرَةِ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِي الْمَقَامُ بِهَا بَغَيْرِ زَوْجَةٍ
وَلَمْ يَكُنْ بِهَا أَجَلٌ قَدَرًا مِنْ جَدِّ هَازِنِ الْغَلَامِينَ . وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ قَدِ
عَضَلَهَا^١ وَتَعَرَّضَ لِعِدَاوَةِ خَطَّابِهَا . فَحَدَّثَنِي نَفْسِي بِلِقَائِهِ فِيهَا فَجِئْتُهُ عَلَى
خُلُوةٍ . وَقُلْتُ لَهُ : يَا عَمُّ أَنْفُلَانِ بْنِ فُلَانِ التَّاجِرِ . فَقَالَ : مَا خَفَى عَنِّي مَحَلُّكَ
وَمَحَلُّ أَبِيكَ . فَقُلْتُ : قَدْ جِئْتُكَ خَاطِبًا لَا بِنْتُكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي عَنْكَ
رَغْبَةٌ وَلَقَدْ خُطِبْتُهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْبَصْرَةِ وَمَا أَجَبْتُهُمْ ، وَإِنِّي لَكَارِهِ مِنْ
آخِرِ أَجْهَانِ حَضَنِي إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهَا تَقْوِيمَ الْعَبِيدِ . فَقُلْتُ : « قَدْ رَفَعَهَا اللَّهُ
عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْخُلَنِي فِي عِدَدِكَ ، وَتَخْلُطَنِي بِشِمْلِكَ » .
فَقَالَ : وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا . قُلْتُ لَا بَدَّ وَهُوَ زَائِدٌ فِي فَضْلِكَ عَلَيَّ ، وَاصْطِنَاعُكَ
إِيَّايَ . فَقَالَ : اغْدِ عَلَى بَرَجَالِكَ ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ إِلَى مَلَأٍ مِنَ التَّجَارِ ذَوِي
أَخْطَارٍ فَسَأَلْتُهُمُ الْحُضُورَ مَعِيَ فِي غَدٍ . فَقَالُوا : إِنَّكَ لَتُحْرِكُنَا إِلَى سَعْيِ
ضَائِعٍ . قُلْتُ : لَا بَدَّ مِنْ رُكُوبِكُمْ مَعِيَ . فَرَكَبُوا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُ يَرُدُّهُمْ ،

(١) عَضَلَهَا : كَعَضَلَهَا (مَشْدَدَةٌ وَخَفِيفَةٌ) مَنَعَهَا الزَّوْجَ ظَلَمًا .

وغدونا عليه فأحسن الاجابة وزوجني وأطعم القوم ونحر لهم وانصرفوا .
ثم قال لي : إن شئت ان تبيت بأهلك فافعل فليس لها ما يحتاج
الى التلوم عليه . فقلت : هذا يا سيدي ما أحبه . فلم يزل يحدثني
بكل حسن حتى كانت المغرب فصلاها بي . ثم سبّح وسبّحت ، ودعا
ودعوت ، الى أن كانت العتمة فصلاها بي وأخذ بيدي فأدخاني الي
دار قد فرشت بأحسن فرشة ^(١) ، بها خدم وجواري في نهاية من
النظافة ، فما استقر بي الجلوس حتى نهض . وقال : « استودعك الله ،
وقدم الله لكما االخيرة وأحرز التوفيق » . واكتنفتني عجائز من شمله ،
فجلون ابنته علي . فما تأملت طائلا وأرخت الستور علينا . فقالت : يا سيدي
اني سر من أسرار والدي كتمه عن سائر الناس ، وأفضى به اليك
ورآك أملا ^(٢) لستره عليه ، فلا تخفر ظنه فيه . ولو كان الذي يطلب من
الزوجة حسن صورتها دون حسن تدبيرها وعفافها لعظمت محنتي . وأرجو
أن يكون معي منها أكثر مما قصر بي في حسن الصورة . ثم وثبت
جفأت بمال في كيس . فقالت : يا سيدي قد أحلّ الله لك معي ثلاث
حرائر وما آثرته من الاماء ، وقد سوغك تزويج الثلاث وابتياح
الجواري من مال هذا الكيس ، فقد أوقفته على شهواتك ولست أطلب
منك إلا سترى فقط .

(١) الفرشة بالكسر : الهيئة . (٢) كذا في الاصل : ولعله (أهلا) لستره .
وكذا قوله : ظنه فيه لعله (ظنه فيك)

فقال لي أحمد ، فحلف لي التاجر : انها ملكت قلبي ملكا لم تصل اليه حسنة بحسبها . فقلت لها جزاء ما قد متيه ما تسمعيه مني : والله لا اصبحت من غيرك أبدا ، ولا جعلتك حظي من دنياي فيما يؤثره الرجل من المرأة . وكانت اشفق النساء واضبطهم واحسنهم تدبيراً فيما تتولاه بمنزلي ، فتبينت وقوع الخيرة في ذلك ولحقتني السن فصارت حاجتي الى الصواب أكثر منها الى الجماع . وشكر الله لي ما تلقيت به جميل قولها ، وحسن فعلها ، فرزقني منها هذين الابنين الرائعين لك ، ونحن منقطعون الى جوده فينا ، واحسانه الينا .

٢٨ — حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : أنكر المهدي على هرثمة * بن أعين تحككه بمعن بن * زائدة وأمر بنفيه الى المغرب الأقصى ، فكلمه الرشيد فيه واستل سخيمة^١ عليه ، ومات معن وزادت حال هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان منه وأفضت الخلافة الى موسى * الهادي . فتمكّن منه هرثمة وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده ، وعلم بهذا هرثمة وتذكر عارفة الرشيد فتمارض .

وجمع الهادي الناس ودعاهم الى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه فأجابوه وحلفوا له وأحضر هرثمة . فقالوا له : تباع يا هرثمة . فقال : يا أمير المؤمنين يعني مشغولة ببيعتك ، ويساري مشغولة ببيعة أخيك ! فبأى يد اباع .

(١) السخيمة : الحقد . واستل : كسل . وذلك ان تراعى الشئ واخرجه في رفق .

هرثمة بن أعين
والرشيد

والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب من بيعة ابنك أكثر مما
أكده أبوك لأخيك في بيعته ، ومن حنث في الأولى حنث في الأخرى
ولولا تأول هذه الجماعة بأنهم مكرهة ، وأسرارها فيك خلاف ما أظهرت
لامسكت عن هذا . فقال لجماعة من حضر : « شأنت وجوهكم » .
والله لقد صدقني مولاي وكذبتوني ، ونصحني وغششتوني ، وسلم
إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه .

٢٩ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدي . يقول : لم يتمكن أحد
من أحدٍ تمكن أبي يوسف * القاضي من الرشيد . ولقد سألت إبراهيم بن
المهدي عن السبب في ذلك . فقال : كان يستحق هذا منه لما حدثني به
مسرور الكبير . قال : كنت في خدمة المهدي وكان الرشيد حفيابي ، محسنا
إليّ ، فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادي . قال لي الرشيد : ان أخى قوي
الشراسة وأنا أخاف إيقاعه بي ، وجمع الناس على بيعه ابنه بعده . وأنا على
غاية من الثقة بك فاعدل إليه وكن لي عينا عليه . فتقدمتُ عند الهادي
حتى توليت ستر بيت خلوته . وكان المهدي قد قرّن أبا يوسف بالهادي
فتمكن منه ، وقبل في مهمّاته مشورته ، فلما حلا بقلبه شاوره في ذلك . فقال
يا أمير المؤمنين لا تحمل نفسك على قطيعة رحمك ، وأولياءك على الحنث
بأيّامهم ، واستدع من الله زيادته بما يرضيه عنك ، فتوقف بعض التوقف .
وسعى إليه بالرشيد وقيل له انه [عامل] على أن يغتالكَ . فدعا بأبي يوسف
وأخبره بما تأدي إليه . فقال : يا أمير المؤمنين لا تسمع هذا وأنا الضامن لك

أبو يوسف
والرشيد

حسن طاعته ، ووكد موالاته . فكنت أنهي جميع ذلك الى الرشيد
فيشتد سروره به ، ويرغب الى الله في معونته على مكافأته . فلما أفضت
الخلافة اليه . دعا به وقال له : يا يعقوب لوجاز لي ادخالك في نسي ،
ومشاركتك في الخلافة المفضاة الى ، لكنت حقيقا به . ألت القائل
لاخي وقت كذا كذا . وفي وقت كذا كذا . فقال : يا أمير المؤمنين
من أنبال بهذا ، فوالله ما كان معنا ثالث . فضحك الرشيد وقال : مسرور
كان يتولى ستر بيت خلوته ، وكان ينهي الى جميع ماصدر عنه . قال
مسرور : فوالله ما برحت بي عناية أبي يوسف حتى بلغت مع الرشيد
هذا المبلغ .

*
*
*

أبو يوسف
وبذل

٣٠ — وحدثني أحمد بن أبي عمران * الفقيه أن ابن الثلجي * حدثه
أن بشر * المريسي (وكان متزهداً) قال : ما اشتيت من مراتب
السلطان الا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها في عشية من العشايا . كنت
اجتزت به مسلماً عليه ، فقال لي : تقيم عندي العشية لتتناظر في طائفة
من العلم ، فاني لجالس عنده وقد ابتدأ فيما آثرناه حتى وافى اليه رسول
أمير المؤمنين الرشيد . فقال لي : انتظرنى ومضى . فغاب عني مقدار
ساعتين ورجع وخلفه غلمان يحملون مالا فوضعوه بين يديه وانصرفوا .
فقال : دفعت الليلة الى عجائب . قلت : ماهي . قال : دخلت الى دار
أمير المؤمنين فانتهى بي رسوله الى ستر مسبل على باب مسرور الكبير

يُسكّه . فقال لي : سلّم على أمير المؤمنين فسلمت . فقال : وعليك [السلام]
يايعقوب ادخل وحدك ، فرُفِعَ السّتر حتى دخلت . فألقيت عنده محمد
ابن جعفر بن المنصور * مولى الجارية المعروفة ببذل ، ووجه كل
واحد منهما محوّل عن صاحبه . وبين يدي الرّشيد سيف مشهور .

فقال لي : يايعقوب هذا الرجل يُدِيرني مُذ الظهر على قتله .
فقال له : ترضى به حكما بيننا . قال : نعم . قلت ^(١) : ألق هذا السيف عن
يدك ، وأرض بالحق لك وعليك . واستدارا جميعا حتى جلسا مجلس
الخصوم بين يدي . ثم قال الرجل : سألتني أمير المؤمنين أن أبيع
جاريةً علىّ فيها إيمان مُخرجة لا كفارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبها . قال
فقلت له : فتسمح بها لأمر المؤمنين أن أخرجتك من يمينك . قال أي
والله وإنّ ذلك لسهل علىّ . فقلت : هب لي نصفها ، وبعه نصفها .
فقال : قد أحببتُ ، وجعلتُ ثمن النصف هدية لك . وتعاثا جميعا وانصرفت
إليك ولحقني هذا المال .

فوجدنا المال المحمول خمسة وعشرين ألفا فقلت في نفسي : أحيّا
نفسا وأصلح بين خليفة وابن عمه في مقدار ساعتين من النهار . قال
بشر : فوالله ما فرغنا من صلاة المغرب حتى ابتدرنا الغلمان يحملون
مالاً وبزاً وطيباً ومعهم جارية حَصيفة ^(٢) . فقالت : تقرأ عليك السلام
(١) في الاصل : قال ألق الخ . (٢) الحَصيفة : الرجل الجيد الرأى المحكم
العقل . قال :

تخلّط فيه من هذا بهذا * فما أدري أحق أم حَصيفُ

سيدتي وتقول لك : أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك فجعلته
نواب الفُتيا التي كانت سبب وصولي إليه ، فكان المال منه خمسة
وعشرين ألفا .

* *

رجل من
صنائع
الامويين

٣١ — حدثني أحمد بن أبي يعقوب * قال حدثني أبي أبو يعقوب
عن جدي واضح * مولي المنصور . قال : كنت بين يدي المنصور وقد
أحضر رجلا كان من رجال هشام بن عبد الملك ، وهو يسأله عن
سيرة هشام لأنها كانت تُعجب المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل
جاري من ذكره فاحفظ ^١ ذلك جماعتنا . فقال له الربيع : « كم تترحم
على عدو أمير المؤمنين » . فقال الرجل للربيع : مجلس أمير المؤمنين
أيده الله أحق المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجرم ، وهشام في
عُنق قلادة لا ينزعها إلا غاسلي . فقال له المنصور : وما هذه القلادة . قال :
قلّدتني في حياته ، وأغنانني عن غيره بعد وفاته . فقال له المنصور : أحسنت
بارك الله عليك ، وبحسن المكافأة تستحق الصنائع ، وتزكو العوارف ،
ثم أدخله في خاصته .

وقد مثل بعض الفلاسفة : الحسن المكافأة بالحسام الصقييل ^٢
الذي يحدث له وقوع الشمس عليه انبعاث شعاع منه يجلو غياهب
(١) احفظه : أي اغضبه عن حمية . (٢) في الاصل (بحسام الصيقل)
فالصقييل المشحوذ المجلّو والصيقل شحاذ السيوف وجلّاؤها .

الامكنة المظلمة ، ويكون وفور شعاعه على حسب صقالته .

وقال أفلاطون : من حسنت مكافأته ، لم تغضبه خيبته فيما التمسهُ ،
لأنه يُقيم العوارف مقام ديون يتحملها لا يسعه اغفال قضائها .
وانما يغضب من المنع : من آثر تحصيل العارفة ، واغفال المكافأة .
عليها . ولأنَّ المرغوب اليه اذا كان يحتاج الى مطالعة حسن المكافأة .
للاحسان فيثابر عليه ، وسوء المكافأة على الاساءة فيتأخر عنه ، كان
الراغب محتاجا الى أن يكون في خلده " من أخبار من أساء الصنيع
فساءت مكافأته ، ما يوازي ما أثبتناه من حسن المكافأة للاحسان .

المكافأة على القبيح

١ — حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن ملك الهياطلة
عبد الله بن العباس عن أبيه * عن جده مولى عبد الله * بن المقفع أنَّ وفيروز
عبد الله حدثه . قال : (كان فيما ترجمته من سِيرِ الفُرس) ^(٢) انَّ فيروزا
لما تقلد مملكة فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطلة . وكان به
للهاطلة ملك صحيح الرأي ، حسن الجوار ، فجمع ذوى الرأي في
(١) التخلد : محركة البال . (٢) أورد الطبري هذه الحكاية في الجزء الثاني
من تاريخه وسمى ملك الهياطلة هذا أخشنوار . والهاطلة : جنس من الترك
كانت لهم شوكة يسكنون بلاد ما وراء النهر .

بلده وسألهم عما يرون ، فمضوا عليه أموالهم والخروج معه فجزاهم
 خيرا وانصرفوا ، وخلا به وزيره (وكان عالي السن) . فقال له : « أيها
 الملك ان يسير الحيلة ربما بلغ أوفى منازل المكافأة ^(١) ، والذي عندي
 من الرأي أن تظهر السخط على ، فتقطع يدي ورجلي وتنفيني الى
 أقاصي عملك ، وتكتب الى عاملك هناك في حبسي وتظهر انك تبينت
 مني ميلا الى فيروز » . فقال له : « ان حسن الحيلة انما تقع بغير
 اضرار يلحق صاحبها ، واذا بلغنا بك هذا فقد جاوزنا بك ما يخافه من
 فيروز لو حصلت في يده » .

فقال : « أنا منذ تكامل تمييزي أحسب مالي وعلى ، فاذا وهبت
 لي نعمة علمت أن على فيها محنة ، وأن الرغائب بالنوائب ، وقد عشت
 في سلطانك أيها الملك في هذه السن العالية . عزيز الجانب ، خصيب
 الافنية ، وشمل في نهاية من رفاغة ^(٢) العيش . وليس من الجميل أن
 أمسك عن قضاء حق النعمة على لسلطاني وشمل وأهلي وولدي ،
 وصياتهم مما عداهم بنفسى . واعلم أنى لو خدمت السلامة لنفسى لمات
 ذكرى بموتى ، ولم أبق شرفا لأهلي . ولعل أجلى قريب فأفوز بحسن
 الذكر فما أتيت به ، وقضيت به حق سوائف الانعام على ، والاحسان
 الى . وإنما اعتمدت هذا الأمر الفظيع لاعدل بفكر فيروز عن
 الحيلة ، واضطره الى السكون الى » .

(١) المكافأة : المقاتلة وجها لوجه . والاصل فيه كيفجه اذا واجهه .

(٢) رفاغة العيش : كرفاهته السعة والخصب فيه .

فلما رأى أنه لا يرجع عما أشار به عليه . دعا به وقطع يديه
ورجله ونفاه الى آخر مساحله^١ ، فكان محبوساً هناك .

وجد فيروز في سفره فوافى الموضع الذي فيه الوزير فوجده
خالياً ممن كان فيه ، ولم ير به غير رجل مقطوع اليدين والرجلين . فسأله
عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائن فاستشارني فأشرت عليه أن
لا يناهضك وأن يسألك اقراره في البلد ، وحمل خراجك اليك . فاستشاط
وسوءت له نفسه منأواتك ، وقد جمع جيشاً له كثير العدد ، قوي
النكاية ، وقدّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندى حيلة اجازيه بها
على سوء صنيعه » .

واستخلى فيروز الوزير^٢ فقال له : ان عدلت عن هذه الطريق
وتجشمت قطع برية يقيم السائر فيها يومين ، تحتاج الى حمل الماء الى
مسيرة يوم منها ، ثم تفضي الى مياه متدفقة . فاذا قطعها وصلت الى بلد
الهياطلة وهو وجمعه في الطريق الذي آثرت سلوكها ، فتدخل البلد
بغير حرب . فحملته الاستنامة اليه بما رآه به على تصديقه ، ولجج^٣ في
البرية بجميع جيشه . (وقد كان واطاً [الوزير] الملك على تكمين جمع له
آخر في البرية) فسار يومه وبعض غده في قفر لا يوجد به ماء ولا نبات
فتساقطت الدواب من العطش ، وافترق الجيش لطلب الخلاص ،

(١) المساح: جمع مساحة موضع السلاح كالنفر والمرقب .

(٢) في الاصل (واستخلى فيروز الملك) ولعله سبق قلم من الكتاب .

(٣) لجج بجيشه : أى ألجأ جيشه الدخول في البرية .

وخرج عليه منسر^١ من جيش الهياطلة فأثروا عليهم وأخذوا فيروزا أسيراً، فمنّ عليه ملك الهياطلة بالامساك عن قتله وجمع وجوه بلده وأضاف اليهم وجوها من عسكر فيروز واستحلف فيروزاً بحضرتهم أنه لا يجاوز حجراً جعله فصلاً مشتركاً بينه وبينه . وأثبت المفارقة في صحيفة بخط فيروز واشهد عليه الجماعة واطلقة على غاية من التبجيل والاكرام .

فدخلت فيروزاً خجلة من رجوعه الى مملكته بعد اسر ملك الهياطلة له وتميره به^٢، وحدثته نفسه بمعاودة قتاله . فخرج اليه وسوّلت له نفسه أنه ان حمل الحجر حتى يدخل به بلداً الهياطلة لم يحنث في يمينه . فحمله بين يديه وسار بجمع كثير وخرج اليه ملك الهياطلة فالتقيا في منتصف طريقيهما، فلما ترآى الجمعان انفرد ملك الهياطلة عن جمعه وسأل فيروزاً موازاته لسمع منه شيئاً . فبرز فيروز . فقال له : « أنا وإياك في قبضة من حنثت في اليمين به، وهو عزوجل يشكر للمحسن احسانه، ويعاقب المسيء بأساءته، وقد أنعمت عليك، وأحسننت اليك وأنا أخوفك الله واحذرُك سطواته، فاني أعلم أن حيائك مما جرى عليك هو الذي ردّك، فينبغي أن يكون استحيائك من الله عزوجل أشد من استحيائك من خلقه . وليس يخرجك من يمينك حمل هذا

(المنسر : قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير . وقوله فأثروا عليهم : أي عزموا عليهم . وهي في الاصل غير منقوطة . ٢) التمعير : من معر اذا نصل من شيء أصابه أو من معر وجهه غيره غيظاً فتمعر .

الحجر بين يديك ، لأنَّ اليمين انما تكون على نيّة المستخلف لا على نيّة المستخلف ، فتدبرّ قولي . واعلم أن من سمعك من أصحابي على غاية من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعك من أصحابك على ذعر من أن تملك بحوبك^(١) . فقال له : لست أرجع عن قتالك . فأمر أن تركب الصحيفة على أطول رمح في العسكر وحمل عليه ، فهزم جيش فيروز وقتل فيروز في المعركة .

٢ — وسمعت أبا جعفر محمد * بن هرثمة . يقول : كان محمد * بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل في أيام الواثق ، ويحرّضه عليه ، فتغيّرت عليه نيته حتى أدّاه ذلك الى حبسه عند محمد بن عبد الملك .

ابن الزيات
والمتوكل

فسمعت المتوكل يقول (في اليوم الذي تقدّم في ادخاله الى التنور الحديد) : لم يُمنَّ أحد بمثل مامنيتُ به من ابن الزيات ! ضيق على محبسي ، ومنعني مما اقتضتني عادتِي . وكنت قد ربّيت وفرّة فلم يُطلق [لي] تنظيفها ، فكثرت الدواب فيها . وتأدى ذلك الى والدتي ، فكتبت الى الواثق رُقعة . فقال لمحمد بن عبد الملك : اطلق لجعفر طم^(٢) شعره ، وتنظيف ثوبه وتطيبه . فانصرف كالمغيظ وضرب الموكل بي وقال : تركت محبس جعفر شارعا من الشوارع حتى سهل شكوى أمه . ثم أمر باخراجه فخرجت فوجدت أمارات الغضب في وجهه . فوقفت

(١) الحوب : الانتم . ٢ طم شعره : أي جزّ ما توفّر منه .

ساعة لا يرفع فيها وجهه الى . ثم قال : نطع . فأوهمني أن الواثق
أمر بضرب عنقي ، فبسط بين يديه ، ثم أومى الى العلامات بادخالي
فيه ولم أشك في القتل ، ثم قال : الحجام . فقلت أظنه يخلم اضراسي قبل
قتلي وأنا في سائر هذا قائم ، فلما وافى الحجام . قال : احلق شعره ،
فاجلسني يحلق شعري فأليت على نفسي اني لا استبقيته لحظة ان ظفرت
بالخلافة ، فمات محمد بن عبد الملك بالتنور في اليوم الثالث ^(١) .

(١) تناقل الكتاب والمؤرخون خبر ابن الزيات وتحامله على المتوكل وقد ذكر
الطبري حكاية قصته وفرة المتوكل بغير هذا المعنى ثم ذكر خبر التنور فقال : هو أول من
أمر بعمل ذلك فعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده ثم ابتلى
به فعذب به أياما . ثم وصف التنور فقال : انه من خشب وان فيه مسامير من حديد وفي
وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعضب اذا أراد أن يستريح . وقال ابن خلكان في
الوفيات : انه من حديد واطراف مساميره المحدودة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس
المسالك ثم قال : وكان يعذب فيه المصايرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال .
فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون
لذلك أشد الألم . ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة . وكان اذا قال له أحد منهم : أيها الوزير
ارحمني . فيقول له : الرحمة خور في الطبيعة . فلما اعتقه له المتوكل امر بادخاله في التنور
وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد . فقال : يا أمير المؤمنين ارحمني . فقال له : الرحمة
خور في الطبيعة كما كان يقول للناس . توفي سنة ٢٣٣ ووجد مكتوب بخطه وقد
خطه بالفحم على جانب التنور

من له عهد بنوم يرشد الصب اليه
رحم الله رحيا دل عيني عليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

* *

٣ — وحدثني نسيم * خادم أحمد بن طولون . قال : صار إلى ابن سليمان
سليمان بن ثابت . (وكان ابن سليمان هذا يكتب لخادم يعرف بشقير
يتقلد الطراز من خدم السلطان ، ثم عمل سليمان بعد ذلك لأحمد بن
طولون على املا كه) ومعه رقعة . فقال توصلها لي إلى الأمير ، فقرأتها
فكان يذكر فيها ان شقيرا أودع أباه أربع مائة ألف دينار . فلما قرأها
الأمير . قال : انظر ما تقول واصدقني عنه . فقال : الأمر والله على ما وصفته
للأمير . فقال : امسك عن هذا واطو محيئك إلى عن أبيك وعن
سائر الناس وانصرف مكلوا .

فقال : فكثير تعجبي من امساكه عن ذكر هذا لايه ، فلم يمض
حول حتى مات سليمان بن ثابت فظهر غمّا به وتجمع عليه . ثم دعا بانه
الرافع للرقعة ، فرد إليه ما كان بيد أبيه من املا كه وضم إليه من الرجال
من تقوى به يده ، وأقام به شهورا ثم دعاه وأنا قائم بين يديه ، فقال
له : كيف حالك مع مخلفي أبيك ، وهل انكرت شيئا منهم . فقال : قد
أعز الله جاني بالامير ومنع مني . فقال له : احمل إلى الاربع مائة الف
التي عندكم لشقير الخادم ، فليجلب . فرد أمره إلى أحمد بن اسماعيل بن
عمار ، وأمره بمطالبتة بالسوط . ففرض به خمسين سوطا واصطفى ما كان
ولما جعل في التنور قال له خادمه : ياسيدي قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك
حامد . فقال : وما نفع البرامكة صـ منهم . فقال : ذكرك لهم هذه الساعة . فقال :
صدقت . رحمه الله .

له ، فلم يجد عنده بعض ما تقوله على أبيه ، وعاود مطالبته . فضر به مرة أخرى فمات .

فقال لي : فعجبت من هلاكه بهذا المقدار من الضرب . فاخبرت أن هذا المضروب كان يستزير الفواسد من النساء في وفور حاله فزارته امرأة كانت ربيطة جلاّد بالسوط وعلم الجلاّد بذلك فبكر إليه ووقف له حتى اذا خرج ، انكب على فخذه وقبله . ثم قال : ياسيدي قد اغناك الله بمساءتي بما بسطه من الرزق عليك ، وظاهره من الاحسان لديك ، وكانت مهجتي عندك البارحة . فان رأيت أن تهبها لي فلك منها عوض ، وليس لي عنها معدل . فصاح في وجهه وأمر بإبعاده ، فلما شدّ بالعقابين^١ تقدّم الجلاّد فضر به ضرب القتل فأتى على نفسه .

٤ — وحدثني نسيم الخادم أيضا . أن أحمد بن طولون كان مذعورا من خروج أبي عبد الرحمن العمري فوافاه الخبر بقتل غلمان أبي عبد الرحمن أيّاه ، وانتشار أمره . ثم صار إليه جماعة تقارب العشرة ومعهم رأس فقالوا : نحن غلمان العمري وهذا رأسه . فجمع الخاصّ والعامّ وادخلهم إليه ، واستحضر قوما استأمنوا إليه فسألهم عن الرأس . فاجمعوا على انه رأس أبي عبد الرحمن ، وإن الغلمان من خاصته .

العمري
وغلمانه

فقال أحمد بن طولون لهم : هل كان مسيئا إليكم . قالوا : لا والله

(١) العقابان : خشبتان يشد بهما المضروب بكيفية مخصوصة ليمتنع من الحركة .

ولقد كان محسنا اليينا ، ومفضلا علينا . قال : فما حملكم على قتله . قالوا : طلبنا الخطوة عندك ، والمكانة منك . فقال : قتلتم مولاكم المحسن اليكم بالتطرب^(١) الى الزيد . ثم امر بهم فشق عن جماعتهم ، وأخذتهم السياط حتى سقطوا ، وضربوا على رؤوسهم بالشدوخ^(٢) حتى ماتوا جميعا وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن .

*

* *

٥ — وسمعت أبا عبيد علي بن * الحسين القاضي يحدث . قال متسلط عامل

كانت لي بواسط حصّة اودّي عنها الى السلطان خراجا . فقدم علينا عامل قد جمع من الظلم ، وسوء التسلط ، وفظاظة الطبع . فجمع المعاملين بأسرهم على التحيل له بما لا يوصل اليه من أملاكهم ، ولا يستحقه عليهم . فضرب قوما ، واستخف بآخرين . فقال له رجل ممن حضر : إن رأيت أن تؤخرني الى نصف النهار . فقال له لعلك ممن يقول إن من عمود الى عمود فرجا . فقال له الرجل : أنا والله اعتقد من لحظة الى لحظة فرجا يرجي من الله ، فتضاحك من كلامه . فوالله مامضت ساعة حتى دخلت اليينا في الموضع الذي كان فيه رعلة من الخوارج وهي تقول : السليطين السليطين . فقطعته بأسياها وخرجت ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئا لأحد . فعلمت أنهم عقوبة أعمدته .

(١) قوله بالتطرب : كذا في الاصل ولعلها بمعنى التطرف أو التطلب وتطربه كاطربه حمله على الطرب والطرب الفرح . (٢) الشدوخ : حجارة أو آلة معدة للشدخ والشدخ : الكسر وهو خاص في كل رطب أو أجوف .

*
* *

حامل الصدقة
ومتظلم

٦ — وحدثني عمر بن يزيد * البرقي (وكان جميل المذهب) .
قال : حضرت مُصَدِّقاً شديداً الاستحلال ، بعيداً من الرأفة . وهو جالس
على رابية وبين يديه حواء ^(١) يحتاز به ما يحصل له من الابل .
قال : فَعُرِضَتْ لَعَمُ رجل حسن الطريقة ، متعالماً بعفاف الطعمة .
فتخير عليه المصدق ما احتازه من ابله واستعمل من سوء التحكم عليه
مالا يصبر عليه غيره فأمسك ، ثم نظر بعد انفصال ما بينهما الى فصيل
سمين كان في ابله . فقال لغلمانه : خذوا هذا الفصيل حتى يصلح لنا
غداً ^(٢) . فقال صاحب الابل له : قد أخذت زيادة على حقك ، فما هذا
قال : لا بد لي من أخذه . قال : فاني لا اسلمه . فأمر بوجي عنقه وأخذت
مقادته من يده ، فصاح بأعلى صوته : « كل هذا بعينك يا جبار » . خلف لي
عمر أنه جاء من الجوّ فخلّ وخرج منه وهو يرغو ، فأخذ بعضده ولم
يزل يضرب به الارض حتى قتله وانصرف الرجل بفصيله .

*
* *

عدي بن زيد
والنعمان

٧ — وفيما أخبر به الهيثم * بن عدي قال : كان عدي بن زيد
قد تقدّم عند كسرى * ابرويز في ترجمة العربي الى الفارسي . وكان رجلاً ^(٣)
جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى

(١) الحواء : بالفتح الصوت يسوق به الابل . وبالكسر جماعة البيوت المتدانية .
(٢) الغدا : طعام العدو خلاف العشاء . والغدوة أول النهار . (٣) قوله
رجلاً جاراً للنعمان : أي محسوباً من اتباعه ورجاله فله عليه حق الجوار والتبعة .

فامتنع من ذلك ولم يرض بهذه السجية ، فتركه النعمان حتى اطمأن اليه ، ثم سأله أن يزوره . فكلّم كسرى وسأله أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً ونصب عديّ ابنه مكانه . (وكان حلو الشاهد ، مضطهما بما يُسند اليه) . فأذن له فلماً حصل في يد النعمان قتله وكتب الى ابنه يخبره بأنه مات حتف أنفه^(١) ، وانه على غاية من الأسى عليه . وتأدى خبر عدي الى ابنه على الصحة فلم يخرق^(٢) فيه . وأقام يتبع غوائله ويعمل الحيلة في اقتراض وتره .

جئري في يوم من الأيام ذكر الجوّاري بين كسرى وبين ابن عدي ، وكان أبرويز مستهتراً بهن . فقال ابن عدي : أحسن النساء حرقة بنت النعمان . فكتب أبرويز الى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حرقة ابنته اليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب اليه كتاباً يذكر فيه قشف^(٣) تربية العرب لاولادها ، وتقصيرهم ببداذة الهيئة ، ووسخ المهنة (١) مات حتف أنفه : اذامات على فراشه من غير ضرب ولا قتل . قال الجوهرى : ولا يبنى منه فعل . وخالفه ابن القوطية فقال : حتفه الله يحثفه حتفاً من باب ضرب اذا أماته وتقل العدل مقبول . وانما يختصون الانف بذلك لانهم يريدون ان روحه تخرج من أنه بتتابع أنفاسه . (٢) قوله فلم يخرق فيه : الخرق الحق ، أراد انه تأنى في الاقتراض منه أى في القصاص منه ولم يتمجل شأن الاخرق . والوتر : من وترت الرجل اذا قتلت جميعه فأفردته منه . وخبر ابن عدي وكيد النعمان عند كسرى في ثأريه مبسوط في كثير من كتب الاخبار . (٣) القشف : قذارة الجلد وعدم التعهد بالنظافة . وقوله وان في عين العراق : (العين بالكسر) اراد النعمان جمع عيناء وهى العظيمة سواد العين في سعة . وأراد به ابن عدي بقر الوحش يغالط بذلك كسر ليغظه على النعمان .

وان في عين العراق للملك عوضاً منهم ، وأتخذ الكتاب الى كسرى .
فأمر كسرى ابن عدي أن يقرأه عليه فأمره على طرفه ثم ألقاه وضرب
بيده على جبينه . وقال : لا يستطيع لساني مواجهة الملك بما فيه . فعزم
عليه الملك ليخبرته . فقال : « ابنتي لا تصلح لك ، فاذا قرمت ^(١) الى الجماع
فعليك بالبقر » . فغضب كسرى وأتخذ رُسُلًا اليه فاشخص . فلما قرب
من مقر كسرى أخرج أربعة ألف جارية بالجلبي وفاخر الكسوة
وأذن له . ثم قال له بالفارسية : يا كلب من كان له هؤلاء يصلح له مجامعة
البقر . وأمر بشدة يديه ورجليه ، وألقاه في الارض وأطلق الفيلة عليه
فوطئته حتى مات تحت قوائمها .

٨ — وفيما جاء به الزبير بن بكار . قال : اجتاز رجل من أشراف
المدينة بمريض ملقّى على كناسة قريبة من منزل رجل من الأولياء ^(٢)
اختلت حاله ومرض ولا قيم عليه ، وتبرّم به رفقاؤه فأخرجوه من
منزلهم وهو ملقّى في الطريق . فأمر الشريف بحمله الى منزله ، وتقدّم
الى ابنة عمه في حسن القيام عليه بحشمها ، وان تُرفقه عيشه الى أن تُقضى
علته . فابتدره كل من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته
وصار في منزلهم كأحدهم وقفل الى دمشق .

شريف
ومريض

(١) القرم : شدة الشهوة الى الشيء . والاصل فيه قرم الرجل الى اللحم اذا اشتدت
شهوته له . (٢) الاولياء : هنا ولاية الامر ، ويستعمله المؤلف كثيراً .

فلما كان في الوقت الذي توجه جيش يزيد * للحرّة وافي فوقف على باب دارهم فظنوا به انه وافي لحمايتهم ، وحسن المدافعة عنهم ، ليقتضيه سوائفه لديه . فدخل الدار ومعه ثلاثة غلمان . فلما تمكن منها أخذوا في جمع الاثاث . فقال لهم الشريف : ماهذا . فقال : « اني استوهبت دارك بما فيها من الامير ووهبها لي ، وكنت أحق الناس بها اذ كانت الاحوال بيني وبينكم وكيدة » . فقال له الشريف : رجعت يا ابن اللخناء الى لؤم أصلك ، وفساد مركبك ، ثم علاه بسيفه وفرّ الغلمان وهدئت وقدة^١ الفتنة وطل دمه .

٩ — وحدثني نافع بن مصقلة * الحمصي . قال : سمعت أبي يقول مولى للعباسيين وامي رأيت مشائخنا مجتمعين على أمرٍ لحقه أسلافهم انه كان يسكن بحمص شاب من أهل العراق حسن الصورة ، لين العريكة . فأقام معهم مدة ، ثم صار الأمر بعد ذلك الى بني العباس فتقلد ذلك الفتى حمص وكان مولى من موالى أبي العباس * . فلما دخلها قصد الى دار رئيس كان بها من أصحاب بني أمية فذبحه فيها وجماعة من غلماناه . ثم خرج فأحسن السيرة ، وألان الجانب . فقيل له : ليس يشبه ما أنت عليه ما فرط منك الى الرجل الذي ذبحته وشمله . فقال : اسمعوا مني ما جرى على علنة^٢ .

اجتزت به وقد نظفت أثوابا لي لأملك غيرها ، وقد دُعيت

(١) وقدة الفتنة : اشتعالها . وطل دمه : أي هدر فلم يطالب به . (٢) كذافي الاصل .

الى امرٍ لا يسعني التأخر عنه ، احتاج فيه الى حسن الهيئة واظهار
التجمل ومعى رسول من استحضرنى وهو قاعد على الباب . فرائت
دائتي بحيث تقع عليه من رجة مبلطة لداره . فأمضني^١ وأمر الغلمان
بترجيلي وضربي . فركبني أيديهم ، ثم حلف الا أبرح حتى اكس
روث دوابي يدي في كمي ، وأحمله في ثوبي وحجري ، وأخذت
بجررت الى ذلك . ولم تنزل حاشيته تضحك مما نزل بي . فحدثت
مولاي فاستحلفني بحقه على غليظ ما آتته اليه .

*
* *

احد الكاسرة ١٠ — ومما قرأته من سير العجم أن جماعة المنجمين حكموا لبعض
الوكلاء أن ابنه يقتله ويتولى ملكه . فعمد كسرى الى سموم وحية^٢
بجعلها في قوارير وختمها وكتب عليها : « دواء للجماع الشربة مثقال »
وكانت وزنة قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : إن كان الأمر كما
حكاه المنجمون فساخذ بطائلي منه . فعدا عليه ولده وقتله . وكان شديد
المحبة للجماع ورأى تلك القوارير فشرب مثقالا فمات .

*
* *

١١ — وحدثني أحمد بن أبي يعقوب قال حدثني أبي عن جدي
مروان الجعدي وخالد
ابن سهم واضح قال : سمعت خالد بن * سهم يحدث المنصور وكان هذا الرجل
خاصا بمروان بن محمد الجعدي . فطلب منه مروان جارية له كان يحبها
(١) أمضه الامر : اذا أوجعه وآله . (٢) وحية : معجلة ومسرعة من
قولهم توحى استعجل وأسرع .

وتجرّم عليه فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذا رأى ونجدة فلما
استفحل أمر أبي مسلم * وكسر عساكر مروان أخرجه من الحبس
ووعده جيلا . قال خالد : كان مروان يضحك من زلي المسودة^(١) ويقول :
لو أسرناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأنفسهم من التشويه والشهرة . فلما اضطر
الى مكائحتهم وواقعهم . رأيته قد تهيب معاركتهم فقال لى يا أبا يزيد
(وما كنتانى قبل ذلك اليوم) : انى قد ارتعت فهل ذلك بين فى .
قلت : بلى يا أمير المؤمنين . وكنت اداجنه^(٢) ويسرّنى حوول أمره .
فقال : ما أجد قلبى يطيق موافقتهم . فقلت : ان كان هذا فتحصّن منهم
بالانهزام فان خيلك أنجى من خيلهم . فانهزم وتوقف أصحاب أبي مسلم
عن طلبه . فلما بلغ الى سواده^(٣) قال لى : قد عزمت على الدخول الى بلد الروم
(وكان من أصوب تدبير له) فنفسنت^(٤) عليه بالرأى ، واستعملت مغالطته
فقلت : تدخل باحداث من ولدك وشملك مستجيرين بكافر قد أمن

(١) المسودة : العباسيون ورجالهم كانوا يسودون ثيابهم خلافا للميضة من الثنوية
حتى غلب عليهم فلقيت الخلفاء منهم به لانهم قد بلغ بهم استعمال السواد منها حتى حكى
عن الرشيد انه جلس مجلسا عاما فى علبته التى مات بها بطوس فى مضرب خراسود
استدارته أربعمائة زراع قبا به ممشاة بخراسود وهو جالس فى فارة خراسود فى وسط
المضرب والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة والاوتار والحبال كلها سود
وعليه جبة خراسوداء وفوقها دراعة خراسود . وقلنسوة طويلة وعمامة خراسود .
وهكذا كان سائر لباسهم وشعارهم وديثارهم . واول من أراد تغيير هذا الزي منهم المأمون
فأنكر عليه عامة بنى العباس ذلك حتى عاد اليه . (٢) اداجنه : اى اداهنه يريد
انه يغشه . (٣) سواد الامير : نقله ومعسكره وسواد البلدة ما حولها من القرى
والريف . (٤) نفس عليه بالرأى : أى حسده عليه وضمن عليه بخيره .

سربه، واستقام أمره . ولعلّ ولدك يروقه ما يروونه في مملكته فيحملهم
ذلك على التنصر، ولأنّ تمادي في مسيرك حتى تدخل مصر فتجد فيها
الرجال والكراع^١ والمال، وتملك بها اختيارك . فركن الى قولي فسرنا
فلما دخلنا مصر خرج الى صعيدها واستأمنت الى عامر* لحال كانت
بني وبينه وقتل بوصير الاشمونيين .

* *

احمد بن طولون ١٢ — ولما قدم احمد بن طولون الى مصر متقلدا بها عمل المعونة .
واين المدبر
أهدى اليه أحمد* بن محمد بن مدبر من دق^٢ مصر ودوابها والريق
المجلوب اليها ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردّ ذلك عليه وذكر انه
لا حاجة له بشيء منه . فثقل ذلك على ابن مدبر . وقال : ما ينبغي أن يثق
السلطان بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قدر على طرف من
أطراف مملكته . فلما مضت أيام بعث اليه : قد كنت أتقذت الى
طائفة من برّك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها . وقد بلغني ان عندك
مائة رجل من مولدي الغور^٣ وبني اليهم أمس حاجة . قال ابن المدبر :
قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى . يرُدُّ الأعراض والأموال
ويستهدي الرجال . وكان حسين* بن شعرة مضحك المتوكل* على الله
قد انضوى اليه خمي به ضياعه وأملأه ، ووقف على استئصال ابن

(١) الكراع : الخيل والبغال والحمير . (٢) دق مصر : طرف أموالها
وما يصنع بها . (٣) الغور : كل ما انخفض من الارض خلاف النجد . واسم مشترك
لعدة مواضع : منها ما بين ذات عرق الى البحر وكل ما انحدر عن تهامة . ومنخفض
بين القدس وحوران مسيرة ثلاثة أيام في عرض فرسخين .

مدبر لا حمد بن طولون وأخرج حكايته في ترمته^(١) وكلامه فيضحك ابن
مدبر ومن حضره . فاتصل ذلك بابن طولون فاحضره ثم قال له : « بلغني
انك تتنادر بي ولك في الناس مندوحة فاحذرنى ، فانك ان وقعت لم
ينفعك ابن المدبر ولا غيره » . فجد هذا واعتذر اليه منه . ثم انصرف
الى ابن المدبر وقال : ياسيدى لو شاهدت أحمد بن طولون يؤنبني .
فقال : ما قال لك ؟ قال : أصبر حتى أريك حكاية صورته ومعاينته . ثم
تلبس وجلس يحكيه ويقتص ما لقيه به . ثم اتصل ذلك بأحمد بن طولون
فامسك عنه وتتبع غوائله .

واضطربت الرعية لنزاع السعر وقد بلغ ثلاثة أرادب خنطة بدينار .
فركب وتقدم بعقوبة القماحين وازدحمت النظارة من السطوح عليه ،
فوقع مركن^(٢) فيه ريحان الى الارض بمزاحمة من تشوف اليه من النساء .
فمسح كف دابة أحمد بن طولون . فسأل عن الدار : لمن هي ؟ فقالوا
لحسين بن شعرة ! فاحضره وضربه ثلاثمائة سوط وطاف به وكان
ما أوقعه به من أجل متقدم سوائفه اليه ولم يفلح الحسين بن شعرة
بعدها . وزاد أمر أحمد بن طولون في القوة وزيادة المال ووفور الكفاية
حتى تهيبه ابن مدبر .

(١) في ترمته : كذا في الاصل (بالزاي والميم مشددة) والزمت طائر يتلون ألوانا
متغيرة فكانه انتزع منه الفعل لحا كاته من يمثله به . (٢) المكن : الاجانة تغسل بها
الثياب هذا هو الاصل فيه . وفي القاموس المكن كمنبراً نية معلومة . قلت : وما هو خاص
بالرياحين تسمى عند أهل مصر قصارى وعند أهل الشام شقوف وتكون من الفخار .

فحدثني ابو العباس الطرسوسي انه سمع احمد بن طولون يقول
له : يا أبا الحسن أنشدك الله ان تعرضت لي ولا ترسّمت بعد أوتي ، فقد
اجتهدت في استصلاحك فلم أصل الى ذلك . فقال له ابن مدبر : والله
ما أردت أمرك فيما اتقلده واني فيه كالمقيم من قبلك ، فأني شيء انكرت
عليّ حتى اتجنبه . فقال : أنكر عليك المكاتبه الى الحضرة وقد قلدتك
البنغي^(١) . خلف له ابن المدبر انه لا يكتب الا بشكره . وصرف ابن المدير
عن مصر بابي أيوب * بن أخت أبي الوزير فلما اجمع الشخوص عنها قال
له أحمد بن طولون : يا أبا الحسن لو أردت بك سوءا لقدرت عليه .
واحتاج الى أن تجدّد تلك اليمين . خلف له بالمحرجات انه لا يألو حرصا في
تزيين آثاره وتطبيب اخباره ، واشهد عليه الله بذلك وخرج عن مصر
مقلدا للشام فأقام مع ماجور *

فحدثني نعت مولاة احمد بن طولون وأم ثلاث بنات كنّ له فقالت
كنت عند مولاي بائنة فسمعته يحلم في نومه فخفت أن أنبهه فينكر عليّ
هذا فاتتبه وجلس ومسح عينيه وقال : « خير ان شاء الله » . فسألتها عما
رأى فقال : رأيت ابن مدبر قائما في وسط بركة ومعه قوس وموترة وسهام
وأنا تجاهه قائم ومعي جميع السلاح الا القوس وبيننا نهر فكانه يسدّد
السهم نحوي ويرمي فأخطأني . وكان قائلا يقول : لو رماك يومه كله
لما أصابك به لانه عاهدك وما يضر هذا الفعل غير نفسه . فكانه اشتد

(١) في الاصل : وقد قلد (بك) مهملة . واهله من قلد محركة بمعنى جمع بك البنغي .

على أنهما كه في الرمي لى وليس في يدي غير سيف وشرخ^(١) وما أشبهها
لا تعمل في البعد. وقد حال النهر بينى وبين العبور اليه. فانا على هذا حتى
نضب النهر فلم يبق فيه قطرة فعبرت اليه فكأنى كنت كلما قربت منه
يصغر حتى صار بمنزلة من يواريه الكف فأخذته بيدي استطرفه ثم ألقته
من قامتي على رأسه فمات. فتأولت سهامه المكتوبة في والتحريض على ،
والنهر الذى منعني منه مقام ماجور بدمشق ، ونضوبه موت ماجور
وصغره قدرتي عليه ، واحتيازه في كفى قبضى عليه، وقول القائل لى في
السهام انها تخطيك ان الله لا يعينه على^(٢). فحدثت هذا الحديث
سعد الفرغاني غلام احمد بن طولون فقال لى ماسمعت بهذا الا منك
والذى عندي من خبره مطابق لهذه الرؤيا وذلك ان الحسن * بن مخلد برم^(٣)
يكيد الكتاب وانتفاض الاولياء فكتب الى احمد بن طولون يذكر له
رغبته في المقام بمصر. فكتب اليه احمد بن طولون انما أنا وليك ومقام صنيعة
من صنائعك وصوب رأيي فيما آثره. فخرج من بغداد وثني عنانه الى مصر
فمنعه صاحب البذرة^(٤) فانفذ كتبنا الى احمد بن طولون فكان أول ما صدر
منها الينا أربعين كتابا جميعا بخط ابن المدبر يُعظم فيها أمر احمد بن
طولون ويقول: انه قد عزم على أن يجلس خليفة ويصفه بكل غدر فعجب
منها ابن طولون ثم مات ماجور واحتاز دمشق والشام وأتقذني الى الرملة

(١) الشرخ : فصل لم يركب عليه قائمه . (٢) برم : أى سُم ومَلَّ .

(٣) صاحب الكتاب : صاحب الجفارة والمبذرق الخفير . وقوله فانفذ كتبنا ، في
الاصل فانفذ كتابا .

فقبضت عليه وأشخصته اليه فأقام مدة في حبس ضيق وجفو مما جرت به عادته حتى ذهب بصره ومات.

* *

ابن المدبر
ومتقبل

١٢ — وحدثني سهل بن سيف . قال رجعت [مرة] مع احمد بن محمد ابن مدبر الى داره فاستقبلته امرأة : فقالت أيها السيد نحن مائة عيّل على فلان المتقبل وقد ضاع شمله لحبسه فاتق دعوة تعرج الى الله منّا فيك . فقال وهو متهمزى : « اذا عزمتم على هذا فليكن الدعاء في السحر فانه أنجع له » . قال لى سهل : فارتعت من الكلمة . فما مضى له شهر حتى تقلّد محمد بن * هلال الخراج وصرفه عنه واجتمعوا عند احمد بن طولون فاهتدى محمد بن هلال الى ما لم يظنّ انه يقف عليه لانه أول ما ناظره قال : رزق الخراج كذا وكذا . وارزاق الدواوين المضافة اليه كذا وكذا فهل قبضت جملة هذه الارزاق . قال ابن المدبر : نعم . ما حضرني كتاب أمير المؤمنين باطلاق جميع الرزق لك لانه يجوز أن يكون استعملك على جميع الاعمال برزق الخراج وحده . فانقطع [الى] ابن المدبر وطالبه بالمال فقال : ما يازمنى . وردّ الى يد محمد بن هلال فلبس جبة كانت على بعض الساسة وأقيم في الطريق على كناسة وختمت الجبة في عنقه .

فكان أول من وافاه الإمرأة التي قال لها يكون دعاؤك في السحر هو أنجع له . فقالت : جزاك الله يا أبا الحسن خيراً فقد نفعتنا باكثر مما ضررتنا . لأننا جرّ بنا ما أشرت به فوجدناه أنجع شيء يلبس . فبكي

ومن حوله من الموكلين به وانصرفت المرأة داعية له .

١٣ — وكان محمد بن أبي الساج قد هادن خمارويه * بن احمد خمارويه وابن ابن طولون وحلف بالمرجات انه لا يشاقه ولا يجهز اليه جيشاً ابداً . ابني الساج وخلف عنده ابنه المعروف بدادود رهينة فسكن خمارويه الى هذا . ثم تواترت الاخبار بتجيشه عليه ، وما آثره من المسير اليه . فدعا بانه وقال : قد نقض أبوك ما بيني وبينه . فقال ياسيدي ما أعرف لي أباً غيرك فرّق له وأجازته وافرأه . ثم توجه الى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية .

فحدثني أبو عبد الله محمد بن اسماعيل * بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا (وكان معه) قال : لما ترأى الجمعان أمر بالقاء حصير الصلاة فألقيت ونزلت معه فصلي ركعتين فلما استتمها أدخل يده في خُفِّه فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذي حلف فيه بو كيد الايمان انه لا يحاربه . فقال : اللهم اني رضيت بما أعطانيه من الايمان بك ووثقت بكفائتك إياي غدره وبخلفه واجترأه على الخنث بما أكده لي اغتراراً بحلمك عنه فأدلى عليه .^٢ ثم ركب فرأيت ميمنة خمارويه قد انهزمت وتبعها ميسرته فحمل في شردمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج وهو في غاية من الوفور فانهزموا بأسرهم فوقف على نشز وأطفت ومن حضره به فاستأمنت الينا عدة كثيرة . فقلت له : ان مقامنا أيها الامير مع هذه الجماعة خطر فأمرني بالمسير

(١) في الاصل (وافرأه) مهمة . والاتراب الاحباب والاخذان ولعل هذامته

(٢) فادلى عليه : من الادالة وهي الغلبة أي فاجعل لي الغلبة عليه .

بهم الى مستقر سواده فسرت معهم وأنا على رقبة من طمع فيه أو كيد
له فبلغوا نهراً احتاجوا الى عبوره فرأيتهم قد خلعوا الخفاف وخطوا الرحال
وسلكوا سلوك المطمئن فانست اليهم .

١٤ - وكان في حارتنا شاب قد قدم من العراق ذكى الروح
قريب لابن يعفر وعجوز يمانية
هادى السعى . يذكر انه قرابة لابن يعفر القائم كان باليمن . وكان بمصر
في دون قومه . فأشار عليه من شاهد ابن يعفر وسعة أمره بالخروج اليه
فأخذت له حجة^١ من بعض أهلنا وأضفت اليها برأى بتحملة وخرج
فلقى بمكة عجوزاً يمانية جليلة القدر فيهم . فعرفها موضعه فقالت : أنا أتكفل
بمؤتلك وتحملك واغتم هذه اليد عند الامير . وحملته حتى صارت به الى
عشيرتها . فقالت لهم : ان ابن يعفر قتل منا في العام الماضي رجلاً ومعي
قرابة له فاقتلوه به واجتمع الحى وتسلمه أولياء القتل فلما جرد السيف
اضطرب وبكى . فقال أولياء القتل ما نرضى أن نقتل هذا بصاحبنا صاحبنا
شجاع وهذا جبان فبعثوا به الى ابن يعفر وقالوا الرسول لهم اليه : أنا لا نرضى
أن نقناده من هذا . فلما وافى ابن يعفر دعا له بالسيف والنطع ليقتله وقال
هتكتنى في هذا الحى من العرب . فقال له وزيره : ان هذا القتي خرج من
فاقة وأمن الى موقف تضرب فيه عنقه فاضطرب وانما يقتل الامير من
قاد الجيوش وتطعم بحلاوة الامر والنهي فيه وتمكن من الرئاسة ثم عدل
به طبعه الى الخور والذي أراه للأمير أن يعقد له الرئاسة على جماعته .
(١) حجة : أى نفقة حجة عن وجب عليه الحج وتوفى قبل ان يحج .

وينفذه الى مهماته . فان أكثر الفضائل انما تظهر بحسن الارتياض . ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره .

حدثني أبو عبد الله محمد بن عامر اليماني انه درج بهذا التدبير فظهر من شجاعته ما لم ير في آل يعفر مثله ثم غزا الحى الذى كانت تلك المعجوز منهم فقتل أولاداً كانوا لها واقفر به ذلك الحى .

١٥ — وحدثني يوسف بن ابراهيم [والدى] . قال: حدثني ابراهيم الرشيد وامرأة الخيزران أم بن المهدي انه دخل على الخيزران أم الرشيد فوجدتها جالسة في الدار هشام المعروفة بها^١ (وصارت الى أم محمد بنت الرشيد بعدها) على نمط ارميني^٢ والنمط على بساط ارميني وعن يمين النمط ويساره نمارق ارمينية وعلى أعلى نمرقة منها زينب بنت سليمان بن على وعلى يسار النمارق أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بني هاشم . اذ وقفت امرأة على طرف البساط فسلمت ثم قالت : يا زوج أمير المؤمنين أنا مريّة زوج هشام بن عبد الملك ثم مروان ابن محمد من بعده نكبها الزمن ، وزلت بها النعل حتى أصارها الى عارية ما تستتر به مما عليها . فتبيّنت الدموع تدور في عين الخيزران وخافت زينب أن تدخلها رقة . فقطعت على مريّة الكلام بأن قالت : يا أم أمير المؤمنين اتقى الله أن يدخلك رافة بهذه الملعونة فتقبوئى مقعدك من

(١) الخيزران : يضم الزاى شجر بالهند معروف . ودار الخيزران ببغداد معروفة بها وقال في القاموس بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة ولها دار أخرى .

(٢) النمط : ظهارة فراش ما . والنمارق الوسائد الصغيرة .

النار. ثم التفت الى مربية فقالت لها: بك فدام ما أنت فيه يا مربية كأنك نسيت دخولي عليك بحرّان وأنت جالسة بصحن دار مروان على هذا النمط وتحت هذا البساط وعن يمين نمطك ويساره هذه النمارق وعليها أمهات أولاد جبارتكم وقد مثلت في مثل هذا المكان الذي أنت فيه مائلة وأنا أسألك وأتضرع اليك في استيهاب جثة ابراهيم * الامام من مروان لئلا يمثل به. وقولك وأنت كالخقة في وجهي: مآلل النساء والدخول في أمور الرجال. ثم أمرت باخراجي من دارك بغلظة فلجأت الى مروان فوجدته على حال أشدّ تعظفا على رحمه منك. وقال لي: لقد ساءتني وفاة ابن عمي وما دبرت المثلة [به] وقد خيرني بين اطلاق تجهيزه له وبين تسليمه الى فاخترت تسليمه وأمر له بجهاز فقبلته منه.

قال ابراهيم: فالتفتت مربية الى زينب فقالت لها: « كأنك يا بنت سليمان حمدت لي عاقبة أمري في قطيعتي رحمي فأردت أن تزني قطيعة الرحم لأم أمير المؤمنين ». ثم التفتت الى الخيزران فقالت: « قد صدقت زينب فيما ذكرت غني، وذلك الفعل مني أحلني هذا المحل. والسعيد من اتعظ بغيره»، وانصرفت. فبعثت اليها الخيزران ما أعاد اليها [حالتها] وكف اختلاها.

اليون ملك الروم وميخائيل البطريق ١٦ — وحدثنني يوسف بن ابراهيم والدي. انه سمع بطوس رجلا يحدث ابراهيم بن المهدي: ان نقفور الملك لما تأدى اليه الخبر بوفاة الرشيد

جعل ذلك اليوم عيداً للروم ، ثم جعل عيداً أعظم منه في اليوم الذي تأدى إليه وقوع الشرين محمد الأمين والمأمون ، ثم عيداً ثالثاً في الوقت الذي بلغه خروج أبي السرايا ، ثم خرج الى البزجان ليحاربهم فقتل . فسأل بطارقة الروم بطريقهم اختيار رجل ليقبلاً مملكتهم فاتفق معهم على رجل من أبناء العرب يقال له اليون^١ فملكوه . وكان ذا نكابة

(١) الذي تزعم الروم انه من أبناء العرب هو تقفور وانه من اولاد جفنة من غسان وكان قبل الملك عليهم بلى ديوان الخراج لهم ذكره الطبري . وانه لما ملك واستوثقت له الروم بالطاعة كتب الى الرشيد : من تقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب ، أما بعد فان المملكة التي كانت قبلي أقامت مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق . فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقة تحمل أمثالها اليها . لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن . فاذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافند نفسك بما يقع به المصادرة لك . والا فالسيف بيننا وبينك . قال فلما قرأ الرشيد الكتاب استغزه الغضب حتى لم يمكن احد أن ينظر اليه دون أن يخاطبه . وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول او فعل يكون منهم . واستعجم الرأي على الوزير من ان يشير عليه او يتركه يستبد برأيه دونه فأمر بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . من هرون أمير المؤمنين الى تقفور ملك الروم : « قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة . والجواب ما تراه دون ان تسمعه والسلام » . ثم شخص من يومه حتى أناخ بباب هرقل ففتح وغنم واصطفي وأفاد وخرّب واصطلم . فطلب تقفور المواجهة على خراج يؤديه في كل سنة فاجابه الى ذلك . فلما رجع من غزوته وصار بالركة نقض تقفور العهد وكان البرد شديداً وقديس تقفور من رجعت اليه وجاء الخبر بذلك فاستهيا لا حدا خبره اشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة في مثل تلك الايام فاحتيل له بشاعر فقال :

نقض الذي أعطيته تقفور * وعليه دائرة البوار تدور
ابشر أمير المؤمنين فانه * غنم أتاك به الاله كبير
(٦ — المكافاة)

فدفع عنهم وقدة البرجان وقوى اليون على ضبط المملكة . وكانت الروم في أيامه اعزّ منها في أيام تقفور الا انهم أنكروا عليه بسط اليد بالهبات والعفو عن أسرى المسلمين . ثم اجتمعت البطارقة الاثني عشر في مجلس على نبيذ لهم فتذاكروا أمره واستشنعوا فعله . وكان أغلبهم كدحا عليه ميخائيل البطريق الذي ملكهم وملكتهم امرأة بعده . فبلغ اجتماعهم وما قالوا اليون . فوجه في يوم سبت الى ميخائيل فاحضره ثم دعا بتليس "من شعر بطول ميخائيل فادخل رجلاه في قرارة التليس ثم أمر بالتليس فرفع وأقيم ميخائيل فبلغ رأس التليس الى رأسه . ثم أمر أن يحشى رملا فحشى فبلغ الرمل فم التليس . ثم أمر فحيط بشعر جمّة ميخائيل ودعا الطبّاخين فأمرهم أن يُعدوا له طعاما كثيرا مثل ما يُعدّ في الاعياد ثم قال للبطارقة وميخائيل بين يديه على تلك الحال: اذا نحن تقربنا في غد القيت ميخائيل في البحر ثم تغدينا وجعلناه يوم سرور .

(في أبيات ذكرها الطبري في تاريخه) فلما فرغ من انشاده قال: أو قد فعل تقفور ذلك . وعلم ان الوزراء قد اختلفوا له في ذلك فكرّ راجعا في أشد محنة، وأغلظ كلفة، حتى أناخ بفنائنه فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد . فقال أبو العتاهية .

الأنادت هرقلة بالخراب * من الملك الموقّق بالصواب
غدا هارون يرعد بالمنايا * ويرق بالمدكرة القضاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

فلمثل هذا جعل تقفور وفاة الرشيد يوم عيد لهم وكانت وقعة الرشيد بهم سنة ١٨٧ . واجتمعت الروم على قتل اليون وتمليك ميخائيل بن جورجس عليهم ثانية أو آخر سنة ٢٠٠ . (١) التليس : كيس يكون من الخوص أو خلافه وعبارة القاموس وهنة تسوى من الخوص وكيس الحساب .

قال بطرس : فاجتمع البطارقة بعد انصرفهم من عنده وقالوا هذا
العربي قد امتدت يده الى ميخائيل ونحاف أن يجترى على كافتنا . فاجمعوا
على الاشتمال على سيوفهم والدخول اليه وقتله ففعلوا ذلك . ثم جلسوا
للمشاورة فيمن ينصب بمكانه واستشرف كل واحد منهم الى أن يكون
ملكاً . فقال أحدهم لسائر الجماعة : الصواب أن تملكوا ميخائيل فإنه
يرى انكم أنعمتم عليه بالحياة . فاستشرفوا الى ذلك ورأوا موضع
السداد منه فأخرجوه من التليس وغسلوه وأحضروا البطريق وثياب
الملك فألبسوه إياها واعلموه ان اليون قد قتل وملكوه عليهم .

ثم صاروا الى مجلس المملكة والموائد منصوبة . فقالوا له : تغد
أيها الملك بالطعام الذي دبر اليون أن يأكله بعد قتلك . فقال ميخائيل :
عار بالملك أن يطعم طعاما وفي عنقه يد لانسان من أوليائه ورعيته قبل
أن يكافئه عنها ، وقد أحيتهموني بعد موتى ولست أطعم طعاما حتي
يخبرني كل انسان منكم بجميع حوائجه في مدة عمره . فقال كل واحد
منهم ما تنهى اليه أمله مما يصل ميخائيل الملك اليه . فقضى جميع
حوائجهم . وسألوه الأكل فقال : قد فرغنا مما يجب لكم وبقى [ما] لله
وللملك اليون ، ولا يحسن بي أن آكل حتي أفعل ما يجب لهما . ثم قال
للبطريق : ماجزاء من منع ملكا عليه من شم النسيم وروح الحياة . قال
البطريق : يمنع النسيم وروح الحياة . فقال لهم : قد حكم عليكم البطريق
بما لا يجوز خلافة وأمر بضرب أعناقهم وابتدأ بطعامه .

*
**

سيف بن ذي
يزن والمتغلب

١٧ — ومما نقله ابن المقفع عن الفرس وتعالمة العرب : ان ملك
عليه الجبشة لما غلب على مملكة سيف بن ذي يزن خرج الى كسرى مستصر خا
اليه ومستجيرا به عليه . وكان ملك الجبشة يُجرى على ترجمان كسرى رزقا
مثيبا على تحريف دعوى المتظلمين منه . وكان لكسرى يوم في كل شهر
يركب فيه ويقرب من عامته ومن لا يصل اليه ممن انتجعه . فتوخي سيف
ابن ذي يزن ركوبه في ذلك اليوم فلما رآه قال : اسعد الله الملك أنا
سيف بن ذي يزن أغار على مملك الجبشة بفرط تعديده ، وسوء جواره ،
فأخرجني من مملكة عمرتها أنا وآبائي مذأكثر من مائتي سنة . وأنا
أسأل الملك أن ينجدني عليه ويردني بطوله الى مملكتي ومملكة آبائي .
فسأل الترجمان عن قوله فقال يقول : أنا رجل من جُلّة العرب وقد
اختلّت حالي ، واضطرب شملّي لشدة الفاقة وقد قصدت الملك مستترا
به ، ومستميرا منه . فأمر له بجائزة فرأى سيف بن ذي يزن مالا يشبه
ما ابتدأ به . وصبر الى اليوم الذي يسهل فيه كلامه وانتظره فيه . فلما رآه
قال : أنا أيد الله الملك ذونعمة وكفاية ، وإنما وفدت على الملك لاقتبس
من عزه ، وانتصر بقوته . فسأل الترجمان عما قال . فقال : يقول أمرت
بما يقصر عن حاجتي . فأمر له بجائزة أخرى فوقف على تحريف الترجمان
لكلامه . فانتظره في اليوم الثالث فلما رآه قال : أيد الله الملك ان
الغادر !... فأدى اليه هذا الحرف فقال الخائن !... فرأى في وجهه

الملك الاستفهام . فقال : الكذاب . . . فأشار اليه الملك بيده من هو ؟ فأومى الى الترجمان . فأحضر الملك ترجمانا آخر ، فقص عليه قصته . فضرب عنق الترجمان وأحسن تلقى سيف بن ذي يزن لما تبين منه في الثاني لافهامه . ثم أحضره مجلسه ، فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يؤثره من أصناف الناس . فقال له : أسأل الملك أن يطلق لى من محابسه الكهول فانهم أصبر فى المعارك ، وأسمح بالنفوس ، فأطلق له جملة من [فى] الحبس كهولا بأسرهم ، فحملهم فى مراكب وركب معهم حتى وافى مملكته . فلما نزل جميعهم أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سرّاً منهم ، فلما نظروا الى المراكب قد أحرقت . قال للرجال : انه لا يحسن بكم التعذير فى القتال فتهلكون ، ولكن جددوا جدد من لاجبة له فى البحر . فجرّد الجيش العناية ، وصدقوا حتى بزوا على من أقام بمملكته ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة ، وقهر مملكتها واتقى جانبه ^١ .

(١) قصة وفود ابن ذي يزن على كسرى بعد ان اتى هرقل فلم ينجده ذكرها عامة مؤرخى العرب . وذكروا ان كسرى أمدّه بمن كان فى سجنونه من ذوى النجدة وقد بلغوا ثمانى مائة نفر وقوّد عليهم وهرز احد أساورته وكان يمدّله بالف أسوار وجهزهم فى البحر بشمانى سفائن فغرقت سفينتان منهم وسلم الست . وانهم خرجوا بساحل حضرموت ونزلوا سيف البحر منه . ثم ذكروا حرق وهرز للسفائن لئلا يطمع من معه فى العود لبلادهم وانتصارهم على ملك اليمن المتغلب وسماه ابن جرير مسروق . وفى ابن ذي يزن وما كان منه ومن وهرز والفرس يقول أبو الصلت الثقفى :

أبي الوزير
وجماعة من
العمال

١٨ - وحدثني هارون بن ملول . قال : تقلد أبو الوزير خال أبي
أيوب الخراج على حال اضطراب من الأولياء ، واستعمل من فرط
الاستقصاء على أرباب الخراجات ، واخراج البقوط^١ عليهم ما ثقلت به
وطأته على الناس . وكان له كاتب ذهب عنى اسمه ، في النهاية من الجزالة
والضبط ، وكان يُعزى إليه أكثر صنيع أبي الوزير . فقال لي هارون :
فقصده جماعة من الأولياء فاحسّ بالشر فيهم ، فأغلق الباب عنهم ،
ثم تأملهم حتى عرفهم فسكتب بفحمة : « ياسيدي قتاني فلان وفلان »
وسمى جماعة رؤسائهم . وكسروا الباب ودخلوا اليه فقتلوه . وركب
أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة

ليطلب الوتر امثال ابن ذى وزن
أنى هرقل وقد شالت نعماتهم
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة
حق أنى ببني الاحرار يحملهم
من مثل كسرى شهنشاہ الملوك له
لله درهم من غضبة خرجوا
غر جحاجة ييض مرازمة
يرمون عن شدفٍ كأنها عبط
ارسلت اسداً على سود الكلاب فقد
فاشرب هنيئاً عليك التاج متكئاً
تلك المكارم لاقعبان من لبن
(١) البقط : أن تعطى الرجل البستان أو الارض على الثلث أو الربع .

فقبض عليهم فصدقوا عنه وقتلوا به .

*
* *

ابن الأبرد
وكاتبه

١٩ — وكان لرجل من جُلَّة كتَّاب الجيش بمصر (يعرف بابن

الأبرد) رغبة في وصفه بالنصح في أعمال السلطان ولا بسبه محمد بن أبا [١] فقدَّم العناية به والتعصب له ، ومكَّن له عند خمارويه محلا رد اليه بعض أعماله من الخراج ، واحتاج فيه الى كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم يخلف [ابن] الأبرد فيما أسند اليه ، فكان يسعى به الى كاتب خمارويه ، فكتب يوما رقعة تشتمل على ما كرهه ابن الأبرد من التغميز به ، والانتقاص له . ويشير فيها بأشياء تقسد محله ، وبعث بها الى كاتب خمارويه . فغلط الغلام وجاء به الى ابن الأبرد ، فاستعرض فيها أشياء قبيحة وفارق الكاتب . ورأى الكاتب أنه قد أحرز بما أتاه من السعاية مكانة عند كاتب خمارويه . وقتل خمارويه وثبتت يد كاتبه على الأمر ، فرام نصر بن القاسم أن يدخل في جملته ، فامتنع من ذلك وقال : «من سعى اليناسعي بنا» . فمات نصر بن القاسم كدًّا .

*
* *

٢٠ — وسمعت سعيد بن عبد الله * بن الحكم يقول : «وجد في عمرو بن العاص وتنكره أخبار مصر المسندة» . ان عمرو بن العاص عند تغلبه على مصر كان يتنكر ويخرج وحده متشبهًا بالرجل من عامته ليرى ما عليه القبط من النية

(١) سقطت كنيته من الاصل .

للمسلمين . فتمادى به السير راجلا حتى لحق بطرف من الفسطاط فرأى
جماعة قد التأمّت على سوء فيه . فقال لها : اعملوا بي كلما تؤثرون من
السوء ولا تردوني الى يد الامير فاني هربت منه . فقال بعضهم : ردوه
الى يد الامير فانه يقتله ويكون لكم بذلك عارفة عند الامير . فساقوه الى
دار [الامارة] فأخذ يتصوّر ويتأبى في سياقته حتى قرب من الدار ،
فقام اليه الشرط . فقال : لا يفوتكم منهم أحد . فجمعوا له فأتى على
آخرهم ولم يعاود التكرار .

٢١ — وكنت أعرف شيخا في أيام خمارويه . حلوا النادرة ، مليح
الأنفاظ ، يعرف بالدفاني . وكان معاشه من التوصل بكتب الولاية الى
معاملهم . فحدثني انه خرج بكتب الى الشرقية فالتقى مع رجل في زي
بعض المانية ^(١) من الاطباء وهو على حمار بخرجين وكنت على حمار ،
فاستخبرني عن صناعاتي فتحسنت عنده بأن قلت : أنا تاجر في الغلات
فطمع في و كان مبنجا . فقال لي : هذا موضع طيب فلوأكلنا فيه . فقلت :
ذاك اليك ، فاخرج من أحد خرجيه رغيفين مشطورين فوضع أحدهما
بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزا معه ومضى يسعى به
فشرهت نفسي الى الرغيف الذي كان بين يديه ، فأبدلته حتى صار بين
المانية : ويقال لهم المانوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في أيام
شاور بن ازدشير وقتله ابنه بهرام

الدفاني
والخناق

يدى وصار رغبى بين يديه ، وجاء بالماء وابتدأنا بالاكل فما ابتلع
لقمة حتى شخص بصره وتمدد ، واجتاز بنا جماعة فقالوا : ما لصاحبك ؟
قلت : لا أدري والله ! فقالوا لى : أنت مبنج بنجت هذا المسكين ،
وساقونى .

فكان من لطف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان يبلدهم
ويجاورنى يتقلد المعونة ، فساقتنى القوم اليه والرجل محمول معنا ، وهم
يقودون الحمارين وقالوا له : هذا مبنج وجدناه . فلما رآنى ضحك
الى وقال : متى تعلمت التبنيج ؟ قلت : اليوم ، وقصصت عليه خبرى
وأخرجت كتاب موسى بن طونيق فى برى ، ففتش خرج فوجد
فيه شطائر تبنيج وشطائر خالية ووجد معها أوتاراً للخنق وأحجاراً
للشدخ ، فشدخ رأسه بها ، وخنقه بتلك الاوتار حتى فاظ .

وإذ وفينا ما وعدناك به من أخبار المكافأة على الحسن والقييح
مارجوناً أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير ، وتطلب
العارفة فى الحسن . وزجر النفس عن متابعة الشر ، وإبعادها عن سورة
الانتقام فى القبيح . وقد قالوا : الخير بالخير والبادى أخير ، والشر
بالشر والبادى أظلم . رأيت أن أصل ذلك حفظك الله بطرف من
أخبار من ابتلى فصبر ، فكان ثمرة صبره حسن العقبي

لأن النفس اذا لم تعن عند الشدائد بما يجدد قواها تولى

(١) قوله حتى فاظ : أى مات يقال فاظ نفسه وفاظت يتعدى ولا يتعدى .

عليها اليأس فاهلكها . وقد علم الانسان ان سفور الحالة عن ضدها حتم
لا بد عنه . كما علم ان اتجلاء الليل يسفر عن النهار . ولكن خوار
الطبيعة أشد ما يلزم النفس عند نزول الكوارث . فاذالم تعالج بالدواء
اشتدت العلة ، وازدادت المحنة . والتفكر في أخبار هذا الباب مما يشجع
النفس ويبعثها على ملازمة الصبر . وحسن الأدب مع الرب عز وجل
يحسن الظن في موأنة الاحسان عند نهاية الامتحان والله ولي التوفيق .

حسن العقبي

١ — *

الى بالشىء بعد الشىء مما تخلف عن تلك الوديعة ، وعجوز تختلف ابنا الاخبارى
وغلام يتشطر
بذلك لها ولد يتشطر ويلعب بالحمام فور دت عليهما بدرة دراهم وقد
انتهى بهما السعي في الايداع . فقالا للعجوز: صيرى بها الى ابنك مع
هذا الغلام حتى تودعيها لنا عنده . فمضت بها والغلام معها فخذنا الغلام
قال: صرنا اليه وقد فتح باب البرج وأخرج فراخا زُغبا^١ وهو ينظر
اليها ، فادينا الرسالة اليه . فقال : ليس لى خزاية ولا صندوق ، ولكن
اجعلها في هذه المحضنة الخالية من البرج . قال فقعلت وانصرفت .
جمعنا على أنه يمزقها مع الغلمان وسباق الحمام . ثم صالح ما كان التاث^٢
من امرنا ، واطمأنت نفوسنا مما كان أخافنا ، فبعثنا فيما كنا أودعناه
الشيخ . فقال للغلام : غلطت بي وليست الرسالة الى . فلما رجع
بالجواب الينا تحيرنا وركبنا اليه فاستمر في الجحود وتضاحك مما لقيناه
به ، ورجعنا وقد لحقنا من فقد الوديعة أكثر مما كنا نخافه من النكبة

* سقط من الاصل . والحكاية مسوقة عن ابني عمر الاخبارى في نكبتهم
بعد موت أبيهما وكان ابوهما من رجال دولة المتوكل فاقبله وقد أودعها شيخا كانا
يعلمان من حاله الصلاح الخ .

(١) الزغب الريش أول ما يبدو . (٢) اللوث : اختلاط الامر وتلبسه .

ومثلنا بين مطالبته بما تُنبّه به على مقدار ما أودعناه، ونُطمع من خفناه
وبين الامساك عنه، وتربص الايام به، فمالت نفوسنا الى الامساك
لما اجتمعت لنا الصغائر المغادرة للعدل^١، واجتازت بنا العجوز
فقلت: قدر دنا ما أودعناه وبقي ابني. واقتضتنا الغلام يحمل البدره
فبعثنا به معها.

فحدثنا الغلام قال: وافيناه بين يدي البرج فأدت العجوز اليه
الرسالة. فقال للغلام: ادخل فخذها من المحضنة التي خلقتها فيها. فصار
بها اليها الغلام وعليها ذرق الحمّام، فوزناها فوجدناها على ما كانت عليه.
فكثرت تعجبنا من أماته وأخرجنا من البدره ألف درهم وتقدمنا الى الغلام
بالمصير بها اليه، فرجع الغلام اليها فقال: رمى بها اليّ وشتمني. فأثرنا
ارتباطه وقلنا للعجوز: صيري به اليها الساعة. فوافانا فقلنا انبسطنا اليك
فانقبضت عنا. فقال: الحياة أعزّكم الله، أسهل من أخذ أجره على
الامانة. فقلنا: جزاك الله خيراً فقد وجدنا فيك ما لم نجده في غيرك.
فقال: وتختلف عنكم شيء مما أودعتموه. فقلنا: نعم. فقال: عرفوني
فاني أرجو أن آخذه لكم بالطف حيلة. فرأينا لما فيه من فضل النفس،
وكرم السجية، أهلاً لأن نبثه وجدنا فأخبرناه. فقال: ينبغي أن
تتقدّما الى بعض من تثقن به من غلمانكم أن يتيقّظ فلعلي أن أناديه
الليلة. فقلنا: وما تريد بذلك. فقال: مالا يجوز أن أبديه، وأرجو
(١) كذا في الاصل.

عون الله عليه ، والتفريج عنكما به ، ففعلنا ذلك . وما يتناول سؤا لنا
الى ما اتاه .

فجمع اخوانا له في عدة كثيرة من الشُّطَّار واقتحم على المستودع
وقال له : ماجئنا لنهيك ، ولا نتعرض لشيء من مالك ، وما جئنا إلا
لوديعة ابني عمر الاخباري . فان أديتها خرجنا وكأننا مادخلنا . وان
جحدت واعتمدت بصياح قتلناك الساعة وسهل علينا عقوبتنا فيك ،
وقتلنا بك ، لأننا نرزق الشهادة في القتل والثوبة ، إذ كنا نجاهد عمّا
اخترلته . وضرب الى لحيته وأعجله . فقال : هي في هذه الخزانة .
ودعا بغلام فقال : اخرج جميع ما [أودعناه ابنا] عمر . فأخرج سفظا
كان فيه جواهر ، وسفظا فيه أثواب وشي مذهبة صحاحا ، وبدورا
فيها مال . فقال : والله لئن خلفت شيئا لنظنّ دمك ، ولئن كنت
أديت الامانة لنكوننّ أولياءك ، والمقيمين بأمرك . فوافي باب منازلنا
فصاحوا بالغلام وهم يحملون الوديعة ، فوضعوها بين أيدينا وحدّثونا
بجديتهم . وقالوا : استعرضوا وديعتكم فنحن في الدهليز حتى تفرغان
وتخبرانا هل بقي منها شيء أم لا ! فلما عرضناها على ثبثها عندنا فمأذرت
شيئا منه ، وعادت بما رد اليها نعمتنا ، وانحسمت فاقتنا ، ولم نجد في
الجماعة من قبل شيئا مما بدلناه وانصرفوا .

(١) البدور : جمع بدرة عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

رجل مختل
الحال وعباس
البرمكي

٢ — وحدثني احمد بن أيمن . قال : كنت اكتب في حدائق
للعباس * بن خالد البرمكي . وكان طويل اللسان ، مخشى الغضب . فاني
لجالس بين يديه في داره بمدينة السلام حتى دخل علينا شاب حسن الصورة ،
رث الهيئة ، فاكب عليه . فقال : ألت ابن فلان صديقنا . فقال :
نعم ياسيدي . فقال : قد كان حسن الظاهر ، جميل الهيئة ، فما بلغ بك الى
ما أرى . قال : كان تجمله أوفى من عائدته . وتوفي فكنت أتبلغ بما
يستعمله الموفى على جاهه ، الى أن خان طبعي البارحة ولم أطق ستر ما بي
فقصدتك ، فدعائتة درهم . وقال : تمسك بهذه الي أن أنظرك في عائد
عليك من الشغل . فلما قام من عنده . قال ل غلام يثق به : قص أثر هذا
الفتى ، فانظر ما يبتاعه بهذه الدراهم واحصه عليه حتى يدخل منزله ،
واعرف المنزل وصر الى . فرجع اليه وقال : ياسيدي هذا غلام
عميار ابتاع بنيف وثلاثين درهما سميدا " وسكرا وعسلا ولما كثيرا
وحوائج الاعراس ، وأخذ طبيا خا من طباخى الاعراس ، وأحسب ان
عنده دعوة وقد عرفت منزله . فقال : دعه .

فلم تمض الا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه واستنقل
جلوسه بين يديه . فقال : ياعمى وسيدى ليس يشبه هذا اللقاء ما لقيتني
به في الاولى . قال : كنت في الاولى راجيا لصلاحك ، وأنا اليوم
(١) السميد : نوع من الدقيق خاص لعمل الحلوى . وهو معرب لأن السين
والذال لا يجتمعان في كلمة عربية .

آيس منه . فقال : وكيف ظننت ذلك . قال : أخبرني غلامي انك أنفقت الى أن بلغت منزلك نيف وثلاثين درهما . وكان حقك أن لا تزيد على ثلاثة دراهم . فقال : لو عرفت خبري لقد مت عذري . قال : ما خبرك . قال : كنت مع تضايق حالي أمسك نفسي عن المسألة ، واقتصروا هلي على البلغة ، وأنا ساكن وأهلي في ظهر دار فلان (ووصف رجلا ظاهر اليسار من التجار) وقال له : طاقات في مطبخه تُفضي الى منزلي . فأولم وليمة لأشك في حضورك اياها . فشرق منزلي بروائح الاطعمة ، وكانت الصبية من صبياني تخرج فتقول : « رائحة جدى يُشوى » . وأخرى تقول : « رائحة نقائق تُقلى » وهذه تقول : « يا أبة اشتهى من هذا الفالودج الذي قد شاعت رائحته لقمة » . وقولهم يقرح قلبي ، وأملت أن يدعوني فأتحمل التزليل^١ لهم . فوالله ما رآني أهلا لذلك . فقلت : ولعله إذ نقصت عنده من منزلة من يدعوني أن يبعث الى ؟ فوالله ما فعل . فبت بليلة لا يبيت بها الملدوغ ، فأصبحت في الغداة فكنت أوثق في نفسي من سائر من بمدينة السلام . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريت بها حوائج أصلح منها ما شهوه فأكلوا أياما منه وهم يدعون الله في الاحسان اليك ، والخلف عليك .

فقال له العباس : أحسنت بارك الله عليك . ثم صاح يا غلمان :

(١) التزليل : بالزاي من الزلة بالفتح ما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك . عراقية أو عامية .

اسرجو الي . ولبس ثيابه وركب وركبت معه ودخل الى صاحب الصنيع
فقال : دعوتني وجماعة وجوه بغداد الى طعام مقتنا الله عليه ، وعرضت
نعمتنا للزوال ، وأنفسنا الى اخترام الأعمار ، وقص قصة الفتي .
وقال : عزمت على أن أصدق عن كل من حضر وليمتك ، وتكون
سبباً لتخلف الناس عنك ، والامساك عن أجابتك أخرى الليالي .
فقال : أنا اقتدى إذا عنك بما غفلت عنه بخمس مائة دينار . قال : احضرها
فاحضرها . فقال : اقبضها فتقبضتها . ثم ركب الى جماعة فقال : اعطوني
في معونة رجل من أبناء النعم اختلت حاله ، فأخذ منهم خمس مائة دينار
أخرى ورجع الى منزله . وقد كان أمر الفتي ألا يبرح منه . فأدخله
اليه . وقال : فيما تهش اليه من التجارة . فقال في صناعة الانماط^(١) فانها
صناعة أسلافنا ، ومن بها يعرف حقوقنا . فدعا برجل منهم حسن اليسار
فأخرج اليه الالف الدينار التي أخذها . فقال : هذا المال لهذا الفتي
فليكن في دكانك . واشتر له بها ما يصلحه من المتاع وبصره به .
ثم قال للفتي : احذر أن تنفق إلا من ربح . فانصرف الفتي وقد رد
عليه ستره .

فحلف لي أحمد بن أيمن : ان بضاعته تشرّت ، وأرباحه اتصلت
وعامل السلطان ، ودخل في جملة التجار وجلتهم .

(١) الانماط : واحده نمط وتقدم انه ظاهرة فراش ماء وضرب من البسط وثوب
صوف يطرح على الهودج كل هذه تسمى انماط وهي من صنعة واحدة كما ترى .

* *

٣ — وحدثني أحمد بن أبي عمران * عن مسلم بن أبي عتبة * عن أبيه عتبة . (وكان عتبة هذا مصادقا لابي يوسف القاضي وتربا^(١) له) . قال : كان أبو يوسف قد انقطع الى انحاء الفقه فأحسن القول عن أبي حنيفة * وكانت زيادته في العلم ، بمقدار نقصانه في الرزق . وكان كل من يستعرض حاله بالكوفة ، يشير عليه [بالنزوع] الى بغداد . ويرى أبو يوسف صواب ما يُشار به عليه فيقعدُه نقصان حاله عن المركب الفاره ، واللبسة التي تُشبه من حلَّه من العلم ، ونزع اليه من أقصى النواحي .

وكان له غلام كان لأبيه ، حاذق بعمل الجواشن^(٢) والدروع وكثير مما يحتاج اليه من آلة الحرب . وكان يأتيه في كل شهر بما يقوته في حاضرة الكوفة ولا يُعينه على حضرة السلطان . فرغب الغلام في عامل للمهدي على الكوفة (قد ذهب على اسمه) . فطلبه من أبي يوسف (وهر يومئذ من أصاغر رعاياه) فباعه منه بتسعين دينارا وخرج عند ذلك الى بغداد . فارتاد دابة وثيابا .

وكان لعبد الله * بن القاسم الغنوي أحد أصحاب الأعمش * محل من المهدي * ولم يكن في المجالس التي تنعقد ببغداد في الفقه أجل من (١) الترب : بالسكس من ولد معك . (٢) الجواشن : نوع جمع جوشن المصدر من الدرع أو صدره .

مجلسه . فدخل أبو يوسف مع كافة من دخل من غير تسليم على عبدالله ولا مقدمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف حسن الصورة ، جميل الإشارة ، لطيف التخلص والاحتجاج ، فقبله قلب عبدالله ولم يعرفه .

وجرت مسائل وأجوبة ، كان حظ القياس فيها مقصراً وكان الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فاحسن الاحتجاج وجود . وأعانته على هذا طول لسانه ، وحسن بيانه ، ثم سألهم فقصروا عن الجواب فأبان عدولهم برفق . فلما تقضى المجلس عاتبه عبدالله على تخلفه عنه ، أو تعريفه مكانه ، وسأله أين نزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ودعاه الى منزل بالقرب منه . وقرر خبره عند أبي عبيد الله * كاتب المهدي . فوصله بالمهدي وأسنى رزقه . ثم قرنه بالهادي * فأقام معه مدة أيامه ، وبلغ مع الرشيد مالم يبلغه عالم بعلمه ، ولا محبوب بمرتبه .

٤ - وحدثني (علي * بن سند وكان انقطاعه في أيام الموفق علي بن سند وأبي الجيش ثابت والمعتضد * الى احمد بن محمد بن بسطام) وكان آل عبيد الله بن * وهب يحدون [عليه] سوائها منكراً . ولم يكن مع عبيد الله من سوء المباداة مامع القاسم ابنه . فلما حبس احمد بن محمد بن بسطام قبض علينا مباشر خلفائه في الأعمال ، وأثبتنا في جريدة وتقدم باحضارنا الى داره . فيئسنا من الحياة . وقال لي علي بن سند : فلم يكن في جماعتنا أضعف

حالا مني ، ولا أقل ناصرا . فرأيت الموت وحملنا اليه . وقد أحضر
الجلادين والسياط والموكلين بالمعابر^١ . قال : فقدم منا رجل من جلة
أصحاب احمد بن بسطام فضرب وأخذ خطه بما أعلم انه لا تصل اليه
يده . وبين يديه رجل ظهره اليه لا نعرفه . فلما فرغ [من] أمره ، سمعت
الذي بين يديه وهو يقول : هنيئني عارفتك . فقال : ذره حتى يرى عظم
ماسلم منه بك . فقال : هو يراه غدا . فقال القاسم : سلموا على بن سند
لارعاه الله ! الى صاحبه أبي الجيش ثابت . فرأيتيه وقد قبل يده
وردت على الحياة بشفاعته وأطلقت من غير مصادرة ولا عقوبة .

فلما رجع ثابت الى مكانه وصار بي رسول القاسم اليه . قال لي :
مر بي اسمك في الجريدة فاستوهبتك لأن أباك كان من اخواني
فجزيته الخير على رعايته والدي في .

٥ — وحدثني محمد بن صالح الغوري * قال : كانت لي بضاعة محمد الغوري
أعود بفضلها على شمل . فافترقت في معاملات في الصعيد وخرجت
الى من عاملته بجمعها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد
القساط في رفقة كثيرة الجمع . فلما كان منتصف طريقنا وافي جمع
من الصعاليك فسلب الناس جميعا ودهشت . فرأيت منهم شابا
حسن الصورة . فقلت له : والله ما أملك غير هذا الكيس فارفعه لي
(١) المعابر : كذا في الاصل وأقرب ما وجدته ان المعبر : بالفتح الشط المهيأ للمبور

عندك . فقال : وأين بيتك بالفسطاط . فقلت : في دور عباس بن
وليد . فقال : ما اسمك . قلت : محمد الغوري . قال : امض لشأنك .
وجاء منهم من قلع ثيابي وسراويلي وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوّغت
واحد منهم جميع ما كان معي ودخلنا الى الفسطاط ونحن فقراء^(١) . فرجع
كل واحد منهم الى ما تخلف له وبقيت ليس معي درهم أنفقه .

واني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة حتى
رأيت رجلا قد وقف بي . فقال لي : ها هنا منزل محمد الغوري . قلت
انا هو ولا والله ! ما اهتديت الى الرجل الذي اعطيته المال لأنه كان
عندي أول مال ذاهب . فقال لي : عني . وأخرج الكيس فدفعه
الىّ فردّته على جِدّتي^(٢) وتطعّمت الحياة . وكان بالقرب منّا قائد
يُعرف بابن قرا كنتُ معاملا له وكان له محل^(٣) . فسألت اللص
الميتَ عندي ففعل . فأصبحت وصرت الى ابن قرا وقصصت عليه
قصة الرجل . فقال لي : الطف لي فيه ، فوالله لانوّهنّ بأسمه ، ولا
كافئته عنك . فرجت اليه فأخبرته فوالله ما ارتاع ، ولا اضطرب
ومضي معي . فأحسن تلقّيه ، وخلع عليه ، وصيّره سيّارة لعمله
وضمّ اليه عدّة وافرة . ولم يزل في حيّزه الى ان توفي .

٦ — حدثني احمد بن أبي طولون يعقوب عن أبيه عن جدّه

مصطفى ومعه
بن زائدة

(١) في الاصل ونحن فقري . (٢) الجدة : الحظ والنعمة . (٣) محل :
أى مكانة عظيمة .

واضح . قال : كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور . وكان مصقلة * بن حبيب ينقل عنه الى جعفر ما يكره ولا يمكن المهدي أن يسطو على مصقلة ولا يمسه بسوء . فلما تولى الخلافة نذر دمه فاختنفى . فحدثني مصقلة انه نبأه موضعه الذي كان به فخرج مستترا يريد غيره فلاحقه رجل من أعدائه وصاح في اصحاب الارباع : هذابنية أمير المؤمنين . فتسرع الي الشرط ورأيت الموت عيانا فبينما أنا في أيديهم اجتازني معن بن * زائدة . فصحت به : ياسيدي يا أبا المنذر أجرتني أجارك الله . فقال للشرط والرجل المتشبث بي : خلوا عنه . فقال الرجل : ماذا أقول لأمر المؤمنين . قال : تقول له انه عندي ثم أمر بحمل على جنيبة " من جنائبه وسار بي الى منزله ، وقدم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام . قيل له : وافي رسول أمير المؤمنين . فقال لولده : اقضوا حق عليكم بالآ تسلموا مصقلة فقد استجار بي . خلفوا له على ذلك وركب . فلما رآه المهدي . قال : تحير على يامعن . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ونعم أيضاً . قال : يا أمير المؤمنين قتلت في دولتك زهاء ثلاثين ألف عدو ، ولا أستحق أن أجير فيها عدوا واحدا . قال : نعم تستحق ذلك ، قد وهبناك دمه . فقال : يا أمير المؤمنين ليس هكذا ينم مثلك بالحياة ، اذا تصدقت على أحد بحياته فاجعلها في خفض عيش من نعمتك . قال : يُعطى ألف دينار

(١) الجنيبة : الفرس المقادة الى جنب الامير زيادة عن مركوبه لوقت الحاجة اليها .

قال : يا أمير المؤمنين لا تستوى جائزتك وجائزة عبدك معن ، هذا
ما سمحت له به . فقال : ادفعوا الى جار معن ألفي دينار . فحملت معي
الى منزلي ثلاثة ألف دينار وأمنت على نفسي .

*
* *

أولاد ابن طولون وابن أخيههم
٧ - وحدثني ربيعة * بن أحمد بن طولون . قال : لما توفي خمارويه
قبض علي وعلى مضر وشيبان ابني أحمد بن طولون ، جيش بن خمارويه
وحبسنا بدمشق . فلما قفل الى مصر حبسنا في حُجرة من الميدان معه
وكانت لنا في كل يوم مائدة نجتمع عليها . وكان في الحجرة رواق وبستان
وجلوسنا في الرواق . فوافي خدام له فادخلوا أخانا مضر في البيت
وأغلقوا عليه الباب . فاتفصل عنا وكانت المائدة تقدم الينا ونمنع أن
نلقى اليه منها شيئاً . فأقام خمسة أيام لا يُطعم ولا يستغيث . ثم وافانا
ثلاثة من أصحاب جيش . فقالوا : مات أخوكم بعد . فقلنا : ما نسمع
له حساً . ففتحوا الباب فوجدوه حياً ورام القيام فلم يصل اليه . ورماه
الثلاثة بثلاثة أسهم في مقاتله فطُفي . وكانت الليلة التي دخلوا فيها ليلة
جمعة وأخرجوه وأغلقوا الباب علينا . وأقننا يوم الجمعة والسبت لم يقدم
الينا طعام . فظننا انهم يسلكوا بنا طريقه . فلما كان يوم الأحد
سمعنا رجّة في الدار وفتح باب الحجرة وأدخل الينا جيش بن خمارويه
فقلنا : ما خبرك . فقال : غلب أخى على أمرى ، وتولى إمارة البلد

هارون بن خمارويه . فقلنا : الحمد لله الذي قبض يدك ، وأضرع^{١)} خدك . فقال : ما كان عزمي إلا أن ألحقكما بأخيكما . وأنفذ إلى جماعتنا مائدة فلماً طعمنا ، بعث إلينا خادماً : أن جيشاً كان قد عزم على قتلكما كما قتل أخاكما فاقبلناه وخذا بشأركما منه وانصرفا على أمان . وبعث إلينا خادماً فترسوا إليه فقتل . وانصرفنا إلى منازلنا وقد كفينا عدونا .

* *

٨ — وحدثني منصور * بن اسماعيل الفقيه . قال : خرج رجل ^{احد ملوك الهند وتاجر} نعرفه بتجارة قصده إلى الهند . فرجع إلينا بأنواع من الطيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية السرور . فقلنا له : كم ربحت في التجارة التي خرجت بها من عندنا . فقال : غرقت وسائر من كان معي فسلمت بحشاشة نفسي في جزيرة من جزائر الهند . فتلقاني قوم فيها وجاءوا بي إلى ملكهم . فقال لي : قد تقدمت الموهبة الخارجة عنك فما معك من الموهبة الثابتة عليك . قلت : معي الكتاب والحساب . فقال الملك : ما بقي لك ، أفضل من الذي ذهب منك ، والصواب أن تعلم ابني الكتاب بالعربية والحساب . فأرجو أن نعوضك أكثر مما [فقدته] . وسلم إلى من ابنه أذكى صبي وأطفه . فتعلم في مدة يسيرة ما يتعلمه غيره في مدة طويلة .

فلما رأى أنه قد توجه واستحققت منه الاحسان ، صار إلى صاحب

(١) أضرع خدك : أي أذله وأخضعه .

الملك . فقال : معى هدية من الملك اليك . وادخل الى بقرة فتية . ثم قال : أدفعها لك الى الراعى . فقلت : افعل . وصغر في عيني أمر الملك على عظم شأنه . فما مضى زمن قصير حتى جاء الراعى فقال : « ماتت البقرة » واستقبلنى كل خاصة الملك بالتغعم . ثم ظهر فى ابنه زيّد فبعث الى بقره فتية أخرى فرددها الى الراعى . فامضت مدة يسيرة حتى وافى يديّ . فقال : « قد حملت البقرة » . فلما انتهى حملها وضعت فهناى حاشية الملك بأسرهم . ثم جلس الملك مجلسا عاما وأحضر التجارة التى رأيتوها معى . ثم قال :

« لم يذهب على ما يجب لك فى تعليم ابنى ، ولم أبعث بالبقرة الاولى لفضل البقرة عندى . ولكن نزلت بك محنة فى البحر أتت على مالك فامتحنت بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلمت انى لو أعطيتك جميع ما ملكت يدي وقد بقى منها شيء لضاع منك ، وهلك لديك . فلما أخبرت انها ماتت علمت انك فيها . ثم امتحنت أمرك بالبقرة الثانية فلما أخبرت انها قد حملت علمت انها قد انحسرت عنك . فسررت لك بذلك . واستظهرت بانتظار الولادة . فلما ولدت شخصا كاملا صحيح الاعضاء علمت أنك قد فارقت محتك . وهذا ما أعددت لك ثم وصلنى بطيب قوامته عشرين ألف دينار . وحملنى فى البحر فسلمت وزاد بأرض العرب ثمنه على ما قوامته . قال منصور : فرأيت أنه قد أيسر بعد الخلّة والتفريق فى المعاش .

* *

٩ - وحدثني أبو محمد * يحيى بن الفضل . قال : اختفى عند الفضل بن يحيى
والذي كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند ايقاع الرشيد بهم . وكان وشامى
يواصل البكاء عليهم ولا يسمع الوعظ فيهم . فقال له أبى : أنا أرجو أن
يُخلف الله عليك ولا يضيعك . فقال : والله ما بُكائى لما فاتني منهم
وانما بكائى لجلالة أخطارهم ، وتقاسة أقدارهم ، ولقد كان لصاحبي
في الجمعة السالفة ما لم أسمع بمثله لتقديم ولا حديث . قال لى : « قد كثر
الزوار علينا فانظر مقدار من أنصرف وارفع الى عدة من بقي من الزوار
لا تقدم في برهم . واحذر أن ترفع الى رجلا من أهل الشام لأنه
كان يتشيع » .

نخرجت فالفيت من فضل عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلا .
وجاءنى رجل من أهل الشام كامل الأدب ، ظريف الشاهد ، فأعلمته
ما تقدم به الى . فقال : يا أخى أسألك أن تغالطنى وتثبتنى فى وسط
الجريدة ففعلت ذلك . فنظر الى الاسماء ثم قال : ألم أتقدم اليك أن
لا يكون فى الجريدة شامى . فقلت : وأين الشامى . فوضع شهد الله
يده على اسمه وحلق . ووقع بيده لكل واحد غير الشامى فاقصر
بأحد عن مائة دينار وأمرنى باطلاقها وانفاقها فيهم . فجلست أفرقها
ووافى الى الشامى فأريته اسمه خاليا وحدثته حديثه . فقال : لو قضي
شىء لكان . وأحسن الله جزاءك على ما قدمته من العناية بى وانصرف .

وقد غمى أمره ولم يبق في الزوار أحد حتى أخذ .

فأنا في منزلي قريبا من نصف الليل حتى وافاني رسوله ، فصرت إليه . فقال : أويت الساعة الى فراشي واستعرضتُ بفكري شغل الزوار وما أمرتُ به لهم فحسن عندي ، ثم قبّحه في عيني حرمان الشامي المسكين ورأيتُه نقصا في مُروتي . فنقدم في دفع مقدار ما وصل الى جماعة الزوار اليه . فقلت : ياسيدي وصل الى جماعة الزوار خمسة عشر ألف دينار وهذا يكفيه ألف دينار . فقال : والله ما تنفي ألف دينار بعمّة وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروما . قم فادفع اليه الخمسة عشر ألف ولا تعذلي : « فالخطأ في الجميل أحسن من الصواب في القبيح . وليس يشكرُ الناس من البر إلا ما أفرط ، فأما ما بلغ الحاجة فنسيّ عند أكثرهم ، والواجب على من آثر جميل الذكر أن يتغنم أيامه ، ولا يسوّف بشيء من فعله » .

قال أبو محمد : فبكى والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفتُ عليه . وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من هذا الرجل » .

قال الكاتب : فخرجت وبثتُ الرسل في طلب الشامي حتى وجدوه فوافاني وقد انحطّ أكثر لجه في يوم واحد . فقصصتُ عليه القصة فحمد الله وأثنى عليه ، وشكرنا جميعا ، وقبض المال وانصرف على أحسن حال .

*
* *

١٠ — وسمعت يوسف بن ابراهيم والدي . وهو يقول : كانت
والد المؤلف وابن مدبر
يبنى وبين احمد بن محمد * بن مدبر سوارف تُرعى ويحافظ عليها ، فلما
تولى مصر رأى حسن ظاهري فظن ذلك عن أموال جمّة لدى .
فخدّني في المطالبة وأخرج على بقايا لعقود انكسرت من آفات
عرّضت لضياعها ، ولم يسمع الاحتجاج فيها واستقصر ما أورده
و[ظن] انما كان عن حيلة . فاحتبسنى مع المتضمنين . فكان ينفذو في
كل يوم غلام له يحجبه يعرف بفضل ، فيكتب على كل رجل ما يؤديه
في يومه ، فان شكى انه لا يصل الى شيء أخرجه فحملت عليه الحجارة ،
وطولب أعنف مطالبة .

فلم يزل بي الحاحه حتى بُعت حصر داري فضلا عما فيها وعرضت
داري ففنعني من بيعها ، ووجه الى : فأين يكون حرمك . فوافاني كاتب
في يوم من الايام فقال لي : يشهد الله انا ما نصل لك اليوم الى ما نقيمك
فضلا عن شيء تؤديه . وامسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك
اليوم علينا ، وتعرف ما يؤديه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك
اليوم أنفذ الى توقيعنا نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله . قد الويت^١ بما بقي عليك وهو سبعة

(١) الويت : أي مطلت . من لواه بدينه كيتا وإيّا مطله . وقوله : وسببت
الغ : السبب ما يتوصل به الى غيره . وأراد حولته عليك يتقاضاك ارزاق أصحابه .

عشر ألف دينار وآثرنا صياتك عن خُطّة المطالبة هذه المدة . فان
أزحت العلة فيها والآ سلمناك الى أبي الفوارس * مزاحم بن خاقان أيده
الله وسببت به عليك لا صحابه .

فكتبته اليه رُقعة أحلف فيها : اني ما أملك عدد هذا المال حبّ
خُطّة ولو كان لي شيء لصنّته بنفسى . فان رأى السيد رعاية السالف بينى
وبينه ، وستر مَخْلَقِي كان أهلاً لما يأتيه ، وان سلمنى الى هذا الرجل
رجوت من الله عز وجلّ ما لا يخطئ من رجاه .

فرجع الى بعض غلمانه ومعه رُقعة مختومة فاستر كبنى وساربنى الى
مزاحم . فلما قرئت عليه الرُقعة أدخلنى اليه وعنده كاتب له يعرف بالمرودى
فعرّفنى مزاحم ولم أعرفه . وكان أبوه فى الحارة التى فيها دار أبى بسرّ من رأى
وربته أم امرأتى تعرف بميمونة مولاة أم محمد بنت الرشيد ، ولا علم لى بشىء
من هذا . فقال : أنت كاتب ابراهيم بن المهدي . فقلت : نعم أيّد الله الأمير .
قال : كنت أراك وأناصبى فى حارتنا ، ووالله ما طلب ابن المدبر ان يروج
علىّ مالا . وانما أراد ان أقتلك بالمطالبة وقد قبلت التسبيب ورأيت ان
أكتب الى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك^١ ، وقصورك عن هذا المال .
فان سهل والآ نجمه علىّ وعلى رجالى حتى تقاصوا به فى كل نجم . ثم قال
للمروذى : هذا رجل من مشائخى ، وأم زوجته ببغداد تولّت تربيتى ، وقد
استكتبته على أموري وما احتاج الى قبائلته من الضياع بمصر . وليس

(١) الرزوح : السقوط من اعياء أو هزال . والتنجيم : التوقيت .

يزيلك عن رسمك . وأخذ خاتما قد كان يختم به الكتب بحضرة فأعطانيه
وسألني عن العجوز التي ربه . فقلت : هي بمصر ممى وانصرفت من عنده
الى منزلى . فكان أول من هنأني بمجلى منه ابن المدبر . ورجعت الى
نعمتي معه في مدة يسيرة .

١١ — وحدثني ابو كامل شجاع * بن أسلم الحاسب . قال : كان
ابراهيم بن الأعجمي * المهندس قد تقاصرت يده ، واختلت حاله . وابن موسى
فشكلكم على شكل من أشكال الهندسة ورفعته الى من أوصله الى المأمون
قال ابو كامل فحدثني سند بن علي فقال : سأل المأمون محمد وأحمد ابني
موسى بن شاكر * المنجم عن منزلة ابراهيم بن الأعجمي في الهندسة
فقالا : منزلة ضعيفة وفيه عامية . فقال المأمون للسندی * بن شاهك :
احضرني ابراهيم بن الأعجمي . فلما أحضره وقف بين يدي المأمون
تهيبه فلم تبد منه كلمة . قال فرأيت انقطاعه قد سر ابني موسى وقال
للمأمون : قد عرفنا أمير المؤمنين انه ليس بمحل من يدخل اليه . فقلت :
يا أمير المؤمنين لولا انك تبسطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكاننا بمنزلة
ابراهيم في الانقطاع من كلامك . فأما تقصير هذين به في الهندسة فاني
أشهد سيدي أمير المؤمنين اني من بعض تلامذته ، وعليه ابتدأت قراءة
الهندسة . فأمر بإيصاله اليه مع خاصته وأجرى عليه ما وسعه .

فقلت للسندي : متى قرأت الهندسة . فقال : امتعزت^(١) والله فيما لحقه من تعسف هذين الرجلين . فنزلتُ هذا القول لأردُّ به الإِصغار عنه فصاحت حاله ورجع الى أفضل ما كان عليه .

محمد واحمد ابني
موسى وسند بن

١٢ - وحدثني [أبو كامل^(٢)] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا . قال : كان محمد واحمد ابني شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر [بالتقدم] في معرفة . فأشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعدها عن المتوكل . ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجها الى داره فأخذا كُتبه بأسرها فأفرداها في خزانة سُميت الكندية ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة . وتقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى . فأسندا أمره الى أحمد بن كثير* الفرغاني الذي عمل القياس^(٣) الجديد بمصر (وكانت معرفته أوفى من توفيقه لأنه ماتم له عمل قط) فغلط في فوهة النهر وجعلها أخفض من سائرته . فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائرته فدافع محمد وأحمد ابنا شاكر في أمره واقتضاها المتوكل فسعى بهما اليه فيه . فأنفذ مستحشا في احضار سند بن علي من مدينة السلام فوافي .

(١) امتعزت : أى غضبت وشقَّ على ذلك . (٢) ذكر صاحب عيون الانباء في ترجمة الكندي هذه الحكاية بنصها عن المؤلف من كتابه حسن العقبي فما تجده بين هاتين [] الدائرتين فزيد منها . والآلات المتحركة : هي الآلات الميكانيكية . (٣) قلت هذا المقياس ذكره صاحب الروضة وأنه عمل في زمن المأمون .

فلما تحقق محمد وأحمد ابنا شاكر ان سندا قد شخص ايقتنا بالهلكة
ويئسا من روح الحياة.

فدعا المتوكل سندا. وقال [له]: ما ترك هذان الرديان شيئا من سوء.
القول إلا وقد ذكراك عندي به. وقد أتلغا جملة من مالى فى هذا النهر
فاخرج اليه حتى تتأمله وتخبرنى بالغلط فيه. فانى قد آليت على نفسى ان
كان الأمر على ما وصيف ان أصلهما على شاطئه. وكل هذا بعين محمد
وأحمد وسمعها، فخرج وهما معه.

فقال محمد [بن موسى لسند]: يا أبا أحمد^١ « ان قذرة الحر تذهب
حفيظته، وقد فزعنا اليك فى أنفسنا التى هى أنفس أعلاقنا، وما ننكر اننا
قد أسأنا. والاعتراف يهدم الاقتراف. فتخلصنا كيف شئت ».

قال لهما: أنما تعلمان ما بينى وبين الكندى من العداوة والمباعدة
ولكن الحق أولى ما أتبع. أكان من الجميل؟ ما أتيما اليه فى أخذ كتبه
والله! لا ذكرتكما [بصالحه] حتى ترداها عليه. فتقدم محمد بن شاكر فى
حمل الكتب اليه وأخذ خطه باستيفائها فوردت رقيقة الكندى انه تسلمها
عن آخرها^٢. فقال لهما: قد وجب لكما على ذمام برد كتب هذا الرجل
ولكما على ذمام بالمعرفة التى لم ترعاها فى. والخطأ فى هذا النهريستر

(١) فى عيون الانباء: يا أبا الطيب.

(٢) قائمة كتب الكندى ذكرها صاحب عيون الانباء من ص ٢٠٩
الى ص ٢١٤ من الجزء الاول. وذكرها القفطى فى كتابه اخبار الحكماء من
ص ٢٤١ الى ٢٤٦ من النسخة المطبوعة بمصر.

مدة أربعة أشهر ، بزيادة دجلة . وقد أجمع الحساب على أن أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى . وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر بقاء على ارواحكم . فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة وإن كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجلة وينضب^(١) النهر اوقع بنا ثلاثتنا .

فشكر محمد وأحمد هذا القول منه . واستترا الأمر واسترقهما به ودخل إلى المتوكل فقال [له] : ما غلطا . وزادت دجلة وأجرى الماء فيه واستتر حال النهر وقتل المتوكل بعد شهر [بن] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا .

حصار أقریطش
والإخلاص لله

١٣ — وحدثني الحسن بن مسلم الأقریطشى (ورأيت بعد أن علمت سنه وبلغ المائة سنة . وكان صحيح التمييز ، سليم الخواس) . قال : الح غزونا على الروم ، ونالهم منامكروه عظيم . فوجد^(٢) متملك الروم من هذا ونذران يخرّب أقریطش ولوائق ذخائر مملكته . فنظر إلى راهب محبوب تتعالم الروم ذهادته . فأنزله من متعبده ، وضم إليه أكثر جيوشه ، فوافي جمع لم يحط بأقریطش مثله قط . ففرعنا إلى غلق الحصن وتسرع الروم إلى بناء مساكن لهم . وخرجوا من المراكب وغلبونا على ميرة البلد وما يكون في جواره . واشتد الحصار ، ونزع السعر ، وتحلق الماء كؤل^(٣) ،

(١) نضوب النهر : قلة ماءه وغوره . وعبارة عيون الانبياء « حتى تنقص دجلة وتنضب » والظاهر أنها تصحيف تنضب . (٢) وجد : من الموجدة غضب منه . (٢) تحلق الماء كؤل : من تحليق الطائر وذلك ارتفاعه في طيرانه والمعنى عز تناوله .

وشاع الجهد. ثم زادت المسكاره حتى أكل الناس ما مات من البهائم
 جوعاً. وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له. فقال لهم شيخ: اني قد أراكم
 قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم. والصواب أن تقبلوا مني
 ما أشير به عليكم. قالوا: قل. قال أتركوا الله من قبيح ما يحملكم عليه
 تظاهر النعمة والسلامة، واخلصوا له اخلاص من لا يجد فرجه الا عنده
 وأفصلوا صبيانكم من رجالكم، ورجالكم من نساءكم. فلما ميزهم هذا التمييز
 صاح بهم عجبوا^١ بنا الى الله. فعجوا عجة واحدة وبكى الشيخ وبكى
 أكثر الناس. ثم قال: عجوا أخرى ولا تشتغلوا بغير الله. فعجوا
 عجة أعظم من الأولى وبكى الناس أيضا. ثم عجب الثالثة وعجب الناس
 معه. وقال: تشرّفوا من الحصن فاني أرجو أن يكون الله قد فرّج عنا.
 خلف لي الحسن: اني تشرفت مع جماعة فرأيت الروم قد قوّضوا [رحلهم]
 وركبوا مراكبهم. وفتح باب الحصن فوجدوا قوما من بقاياهم فسألوهم
 عن حالهم. فقالوا: كان عميد الجيش بأفضل سلامة الى اليوم حتى سمع
 ضجتكم في المدينة فوضع يده على قلبه. وصاح: «قلبي قلبي». ثم طفى.
 فانصرف من كان معه الى بلد الروم وخرجنا عن الحصن فوجدنا في تلك
 الابنية من القمح والشعير ما وسع المدينة وأعاد اليها خصبها [وكفينا]
 جماعتهم من غير قتال.

١٤ — قال أبو جعفر ولما غلب ابن الخديج على مصر ونواحيها لم سهل بن شنيف

وابن بسطام

(١) العجب: الصياح مع رفع الصوت.

يكن بمصر اسوأ قدرة على أسباب أبي الحسين بن أحمد * المادرائي
من أحمد بن سهل * بن شنيف . فلم يمض شهر حتى انهزم ابن
الخليج وظفر به وحمل الى العراق ، ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس
أحمد بن محمد بن بسطام الى مصر متوليا بالامانة على الحسين بن أحمد
وكاشفا لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليج وأصحابه .

فقرر أبو علي أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، فمرّض
بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً الا ذكره به . فقال أبو العباس :
سيعلم ما يجري عليه مني . واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف فاستطير
قلبه ، وكسف باله . وأحضر مع جماعة اجلبوا " من الكتاب مع
ابن الخليج فلما دخلوا عليه كاد يقوم الى سهل بن شنيف ثم رفعه حتى
كان أقرب اليه من أخص أصحابه . ودعا ابن حمس فسارّه فنظر الى
سهل وقال لابي العباس : الأمر على ما وصفت ، ثم أطلق سهلاً من ساعته
الى منزله . فسأله أبو علي : هل تعرفه قبل هذا ؟ فقال : لا والله ولكنه
ورد عليّ منه أشبه الناس بأبي . وأفرخ^٢ روع سهل بتوفيق الله ولطفه .
وما زال حفيّاً به حتى مات .

١٥ — قال : وكنت قد عملت في أيام ابن الخليج لحماية ضياعاً

كانت في يدي . فلما تمخضت دولته اختفيت ونهيت وخفت الايقاع

(١) حسن الاجلال : كناية عن الاجتماع لقتاله . وقوله ابن حمس : كذا مهمة

في الاصل ولعله ابن خنيس . (٢) أفرخ روعه كفرّخ أي ذهب خوفه .

المؤلف
وابن بسطام

بي ، واعتور ضياعي العُمَال وأضاعت حالي . فاجتمع الخوف والفاقة
 فرأيت بعد قدوم أبي العباس بن بسطام فيما يرى النائم يوسف بن ابراهيم
 والدي وأنا أشكو اليه خلتي وخوفي . فكأنه يقول : أنا أتكلم في
 أمرك حتى تعود الى محبتك . فلما أصبحت قصصت الرؤيا على من
 كنت مختلفيا عنده وكان حاذقا بالمعارة ^(١) . فقال : يجري لك فرج
 بذكر أريك . وطلب أبو العباس بن بسطام الدُّستورات ^(٢) القديمة ليعتبر
 منها عبر الضياع . فأخرج اليه ما كان لسنة خمسين ومائتين وما قبلها .
 فرأى فيها اسم والدي في ضياع كثيرة . فقال : من هذا يوسف بن
 ابراهيم ؟ . فقال له أبو علي : هذا صاحب ابراهيم بن المهدي ، ورضيع
 المعتصم . قال أبو العباس : وصاحب كتاب الطيخ . قال أبو علي :
 نعم . قال فله ولد . قال : نعم في ناحيتي . قال : نخذلي منه كتاب الطيخ
 وكتاب أخبار ابراهيم بن المهدي وصر به اليّ حتى يقرأهما عليّ .
 قال : افعل .

وكان اسحاق * بن نصير يعرف موضعي . فقال له : احتاج الى
 أحمد بن يوسف . قال : تؤمنه وعلى أحضاره . فكتب له امانا بخطه
 وحلف فيه الاّ يسوءني ، ولا يطالبني . فخرجت اليه وأحضرتة

(١) العبارة : أراد بها التعبير : قال الراغب : والتعبير يختص بتعبير الرؤيا وهو
 العابر من ظاهرها الى باطنها نحو ان كنتم للرؤيا تعبرون وهو أخص من التأويل .
 (٢) الدُّستورات : جمع الدستور بالضم على غير قياس وجمعه دساتير معربة
 النسخة المعمولة للجماعات التي منها تحريرها كذا في القاموس .

الكتابين وفرّج الله غنى بأضعف سبب .

* *

قابلة أولاد
مخارويه واختها

١٦ — وحدثني أمّ آسية قابلة أولاد مخارويه بن طولون (وكان لها دين ، ومذهب جميل ، ومحل لطيف من مخارويه . وقد تذاكرنا لطف الله عز وجل في أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم) : أنه تزوجها وأختها اخوان . فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها . قالت : وتوفي زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات . وتعمّدر عليها تجهيزه من اختلاله . وتوفي زوج أختها وقد خلف من العين والمساكن والأواني لولد أختها .

قالت : فكنت أجاهد في مؤونة ولدي ، وإذا وقف أمري صرت الى أختي فقلت اقرضيني كذا وكذا استحياءً من أن أقول لها هبي لي . ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتروا عليّ صبياني حلوى في العيد . فصرت الى أختي فقلت لها : اقرضيني ديناراً اعمل به للصبيان حلوى في العيد . فقالت : يا أختي تعطيني بقولك : « اقرضيني » وإذا قرضتك من أين تعطيني . أمن غلة دورك ! أو بستانك . لو قلت هبي لي كان أحسن . فقلت لها : اقضيك من لطف الله تعالى الذي لا يُحتسب ، وجوده الذي يأتي من حيث لا يرتقب . فتضاحكت وقالت : يا أختي هذا والله من المنى ، والمنى بضائع النوكى ^(١) . فانصرفت عنها

(١) النوك : بالضم والفتح الحمق والنوكى جمعه .

أجرُ رجلٍ الى منزلي .

وكان في جوارنا خادم اسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه . فلما بلغت حارتنا قال لي : في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت قلبي . ادخلي اليها فليس لها قابلة . قالت أم آسية : والله ما عانيت ممخوضة^(١) قط . فدخلت اليها فمسحت جوفها وأجلستها كما كان القوابل يجلسني في طلق فولدت من ساعتها . فلما أمسك صياحها جاء الخادم يسأل عنها . فقلت : قد ولدت . فعجب من سرعة أمرها ، وظن ان هذا شيئاً قد اعتمدته بحذق صناعة ، ولطف في مهنة . فضى الى سته بنت اليتيم (وكانت مقرباً بأول ولد حمل لأبي الجيش وقد عرض عليها قوابل استثقلتهم) . فقال : في جوارنا قابلة أحضرتها لمرأة في حارتنا تطلق فوضعت يدَها على جوفها فسقط ولدها . ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحد إلا بالله عز وجل . فقالت للخادم : اذا كان غداً جئتني بها . فأتى الغلام ودعاني الى مولاته فأجبت بنشر اح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفت رُوحى وقالت الى التمام تقدير الله تبارك وتعالى . ثم شكت مغساً^(٢) تجده المقرب فدخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها وعجبت الى الله تعالى في سرّي بتوفيقى ، وكنت أدعو ومن حضر من أهلها يتوهم انى أرقى^(٣)

(١) الممخوضة : كلما خض وهي من النساء والابل والنساء المقرب أى الذى قرب وضع حملها . (٢) المغس والمغس : لغة في المغص وهو الطعن والجس استمير الى المرض التى يكون فى القلب . (٣) قوله أرقى : من الرقية بالضم العوذة قال فى القاموس رقاها رقياً ورقياً فهو رقاء نقت فى عودته .

فسكن ما وجدته وتبركت بي ، ودخل اليها خمارويه وقال : ما وجدتي
فقلت مغسا في جوفي فوضعت قابلة أردتها يدها عليه فزال ما أجده
وأخرجتني اليه (وكان قريبا من حرمة) . فقال لي ارجو أن يخلصها
الله عز وجل ببركتك .

قالت أم آسية : ودخلنا في العشر الأواخر من شهر رمضان .
وقد تمسكت من الاخلاص لله عز وجل بما لا يصل اليه من ساح في
الجال خوفا من شماتة أختي بي . فلم تمض الا ثلاثة أيام حتى مخضت
فاجلستها على كرسي الولادة (وكان مقدار طلقها ساعتين) فولدت ابنا
أسهل ولادة . وأبو الجيش يقوم ويقعد ، ويذهب ويحجى . فلما ولدت
وكانت تتوقع من الولادة أمراً عظيماً فلما ألقته : قالت لي هذا الطلق
قلت : نعم . فقبلت يعلم الله عيني من الفرح . وصاح خمارويه : أخبريني
يا مباركة بخبرها . فقلت : وحيات الامير انها في عافية وقد ولدت غلاما
سوى الخلق بحمد الله : فوجهه اليّ بألف دينار والحق أبو الجيش في
النظر اليها لفرط اشفاقه عليها . فاستوقفته الى أن نقلت حوائج الولادة
وقلت لها ياسيدي : اضحكي في وجهه كما تربه . فلما دخل اليها ضحككت
في وجهه فتقدم بصدقة بمال كثير عنها وعن ولده .

وقالت لي أم آسية : لما كان يوم الاسبوع (ووقع قبل العيد بيوم
واحد) أمرت لي بخمس مائة دينار . وحصل من اتباعها ألف دينار
(١) الحرم : ما تحميه وتقاتل عليه من أهلك وهو من أطف الكنايات .

فحصل لي ألفان وخمس مائة دينار . وخلصت عليّ وساثر حشمها أكثر من ثلاثين خلعة . وحُمل اليّ مما أعد للعيد ثلاث موائد خاصة . وانصرفت الى منزلي فأرسلتُ الى أختي مائدة ووافقتني مهنته وقد تقاصر طولها ، فأريتها ما حصل لي من المال والخلع والطيب . وقلت لها : يا أختي أنكرتي عليّ قولي اقرضيني ومن هذا كنت أقضيك . فلا تستصغري من كان الله مادته ، وعليه مدار ثقته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بمحملها من أبي الجيش مالا كثيراً ، وقضت الجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة .

١٧ — وحدثني شجاع بن أسلم الحاسب . قال قلت لسند بن علي : سند بن علي والمجسطي
من كان سببك الى المأمون حتى اتصلت به وكنت [من جلسائه]
من العلماء . فقال أحدثك به : كان والدي يتكسب بصناعة احكام
النجوم مع قوم من أسباب السلطان يودونه ويحبونه وتعلق قلبي بعد
فراغي من قراءة كتاب اقليدس ^١ بكتاب المجسطي . وكان في أيام
(١) اقليدس والمجسطي : كتابان شهيران عظيمان من وضع اليونانيين ، الاول
منهما في أصول الهندسة ، والثاني في الهيئة وعلمها المعمول في هذين الفنين . اكبر الامم
المتدنية من شأنهما كل الاكبار جيلا بعد جيل . ذكرهما الوزير القنطري في اخبار
الحكام وأفاض في القول فيمن عني بشأنهما من علماء يونان والروم والاسلام وسبب
تأليفهما وانتشارهما ومن نقلهما الى العربية ومن شرحهما . وقد سبقه الى ذلك ابن النديم
في الفهرست ، وأبي الريحان البيروني في الآثار الباقية ، وتلاههما صاعد في طبقات الامم .
وذكرهما الخوارزمي في مفاتيح العلوم ، والخزرجي في عيون الانباء في اكثر من عشرة

المأمون بسوق الوراقين رجل يُعرف بمعروف يورق هذا الكتاب
ويبيعه بعد تكامل خطه واشكاله وتجليده بعشرين ديناراً . فسألت والذي
ابتاعه لي . فقال : انظرني يابني الى أن يهيا لي شيء آخذه إماماً من رزق

مواضع من كتابه، والسنجاري في ارشاد القاصد، وطاش كبرى زاد في مفتاح السعادة،
وكاتب جلبي في كشف الظنون وأسهب في الكلام عليهما وتعرض لهما التهاوني في
كشف اصطلاحات الفنون وكثيرون غيروا في كثير من الكتب المؤلفة في
موضوعات العلوم (تاريخ آداب العلم) . قالوا في تعريف الاول ونسبته :

أقليدس (بضم الهمزة وكثر الدال أو بالعكس) بن نوطرس بن بريقس حكيم
قديم العهد يوناني الجنس شامى الدار نجار الصنعة وهو المظهر للهندسة « جومطريا »
والمبرز فيها باطباق العالم أجمع . وقد غلب اسمه على كتابه فسمي به ويعرف كتابه
باليونانية « الاسطروشيا » ومعناه أصول الهندسة أو الاركان وسماه الروم
« الاستقصات » والاسلاميون « الاصول » . قال القفطي : ولقد كانت حكمة
يونان تكتب على أبواب مدارسها « لا يدخلن مدرستنا من لم يكن مرناضاً » يعنون
بذلك من لم يقرأ كتاب اقليدس . وذكروا من نقلته الى العربية الحجاج بن مطر
الكوفي نقله نقلاً اولياً ونقله هذا يسمى بالمهاوروني ونقله أخرى ويسمى بالماهوني وعلى
نقله هذا عوّل الشراح ومن أتى بعده ونقله اسحاق بن حنين ولا يختصره ثم أصلح نقله
ثابت بن قرّة الحرايى وله عليه كتاب في مقدماته وآخر في اشكاله وله المدخل اليه
قال الخزرجي : وهو في غاية الجودة . ثم نقل أبو عثمان الدمشقي منه مقالات . قال ابن
النديم رأيت منها العاشرة بالموصل في خزانة العمراني . ثم تناوله المصريون ثم المغاربة
من الاندلسيين فاحسنوا في تحريره كل الاحسان . قال كاتب جلبي : واعقد المتأخرون
من هذا الكتاب على تحرير أصول اقليدس للنصير الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ قلت :
وقد طبع هذا برومة بالحروف سنة ١٥٩٤ م ومن هذا المطبوع نسخة في دار الكتب
الخديوية بمصر . وثم نسخة خطية كتبت سنة ٦٤٦ في تحرير حساب وهندسة
اقليدس للطوسي المذكور في دار الكتب المذكورة . ورأيت نسخة من اقليدس
(وأظنها تعريب اسحاق) طبعت بالقسطنطينية فيما بعد الاف بقايل بالحروف كذلك

وأمّا من فضل واتباعه لك (وكان لي أخ لا يشتهي مما [تقدمت] أنا فيه من العلم شيئاً إلاّ أنه كان يخدم أبي في حوائجه والاشفاق عليه) .

في مجلد ضخّم على ورق تخين للنهاية جمش يعرف « بالعبادي » أو « الابدادي » وطبع في الهند منه مقالات متفرقة في المطابع الحجرية . وذكر الخزرجي في ترجمة البديع الاسطرلابي قوله فيه :

وذو هيئة يزهو بحال مهندس أموت به في كل حال وأبعث
محيط بأوصاف الملاحظة وجهه كان به اقل يدس يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله به نقطة والحد شكل مثلث

والجسطى (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء) كلمة يونانية معناها الترتيب أو الاعظم وضعه بطليموس القلوذي أحد علماء يونان كان في أيام اندرياسيوس وانطيمونيوس من ملوك الروم قاله القفطي تبعه لابن النديم وفي زمانهما رصدا الكواكب ولا حدهما عمل كتاب الجسطى وهذا الكتاب ثلاث عشرة مقالة . وأول من عني بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ففسره له جماعة فلم يتقنوه ولم يرض ذلك فندب لتفسيره أبا حسان وسلم صاحباً بيت الحكمة فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين فاخترتا قلمهم وأخذوا بأفصحيه وأصححه . قال كاتب جلبي : وهو أشرف ما صنف في الهيئة بل هو الامام ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن . وقال القفطي : وانما غاية العلماء بعد بطليموس التي يجرون اليها ، وثمرة عنايتهم التي يتنافسون فيها ، فهم كتابه على مرتبته . وإحكام جميع اجزائه على تدرجه . ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط باجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، أحدها كتاب الجسطى هذا في علم الهيئة وحركات النجوم ، والثاني كتاب ارسطوطاليس في علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب سيبويه في علم النحو العربي . وقالوا : لقد عني الامامون في الجسطى كل الاعتناء فوق عنايته في غيره من الرياضيات والحكيمات . ولما كانت معرفة كتب هذا الفن تتوقف على معرفة علم الهندسة لان مقدمات براهينه هندسية أجمعوا على ان كل من عني باقليدس من النقلة والمفسر بن والشرح والمشكلين متقدمهم

فلما سوفنى أبى بالكتاب وطالت المدة فيه . ركبت معه لأمسك
 دابته فى دخوله الى من يدخل اليه ولى اذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج
 الى غلمان من كان عنده فقالوا : انصرف فقد أقام أبوك عند مولانا
 فمضيت بالدابة فبعثتها بسرجهما ولجامها بأقل من ثلاثين ديناراً . ومضيت
 الى معروف فاشتريت الكتاب بعشرين ديناراً . (وكان لى بيت أخلو
 فيه) وجئت الى أمي فقلت لها : قد جنيت عليكم جناية واقتصصت عليها
 القصة ، وحلفت لها ان شحذت " أبى على " حتى يمنعنى من النظر فى
 الكتاب لا اخرجن عنهم الى أبعد غاية ، ورددت عليها فضل ثمن الدابة .
 وقلت لها : أنا أغلق باب هذا المنزل الذى لى وأرضى منكم برغيف يلقى
 الى كما يلقى الى المحبوس الى أن أقرأه جميعه . فتضمنت لى بتسكين
 فوزته ودخلت البيت وأغلقت من عندي . فمضى أخى الى والدى فى
 الموضع الذى كان فيه فاسرّ اليه الخبر فتغير وجهه ، وتلجأ فى حديثه
 فقال له من كان عنده : قد شغلت قلبي وقلب من حضر بما ظهر منك

ومتأخرهم عنى بالمجسطى فلست ترى لمتقدم أو متأخر اصلاح فى ذاك الاّ وله اصلاح
 فى هذا . فذكر وامن نقلته الحجاج بن مضر واسحاق بن حنين وأصلحه ثابت بن قرة
 واختصره مع اقيلدس أبو الريحان البيرونى وقيل له عليهما شرحا والفضل بن أبى
 حاتم النيرى ومحمد بن جابر البتانى والسمرقندى والنصير الطوسى وغيرهم كثيرون
 ومن أراد الاستقصاء والوقوف على أهمية هذين الكتابين فعليه بمراجعة ما أشرنا
 اليه من الكتب فى أول الكلام والله ولى التوفيق .

(١) الشحذ : السوق الشديد والغضب والالاح . وهذه المعانى كلها صالحة
 للتفسير بها هنا .

فبحق عليك الا اخبرتنا بما ذا . قال فحدثه فقال : هذا والله يسرنا
في ولدك فاتمده فيه بكل جميل . ثم استحضر من اسطبله بغلا أفره
من بغل أبي ، وسرجا خيرا من سرجه . وقال لابي : اركب هذا البغل
ولا تكلم ابنك بحرف .

قال سند : وأقت ثلاث سنين كيوم واحد لا يرى لي أبي صورة
وجه وأنا مجدد حتى استكمات كتاب المجسطي . ثم خرجت وقد
عملت أشكالا مستصعبات ووضعتها في كمي . وسألت هل للمهندسين
والحساب موضع يجتمعون فيه . فقبل لي : لهم مجلس في دار العباس *
ابن سعيد الجوهري ترب المأمون يجتمع فيه وجوه العلماء بالهيئة
والهندسة . فخرته . فرأيت جميع من حضر مشائخ ولم يكن فيهم
حدث غيري لاني كنت في العشرين سنة .

فقال العباس : من تكون وفيما نظرت . فقلت : غلام يحب
صناعة الهندسة والهيئة . قال : ما قرأت . قلت : اقليدس والمجسطي
قال : قراءة احاطة . قلت : نعم . فسأني عن شيء مستصعب في كتاب
المجسطي كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبت . فعجب
وقال : من أفادك هذا الجواب . قلت : استخرجته قريحتي وما سمعته
من غيري ، وهو وغيره فيما مرّ بي في ورق ممي . قال : هاته فلما
راه اغتاط واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانة : «السفت»
فجاء به فنظر الى خاتمه فوجده بحاله ، ثم فضّه وأخرج منه كُرَاسَةً

فجعل يقابل بها الورق الذي كان معي . فكان الكلام فيما معه أحسن
وصفاً من الكلام الذي معي والمعنى واحد .

فقال : هذا شيء توليت تبينه من كتاب المجسطي فلما أحضر تبه
توهمت أنه سرق مني . حتى تبينت اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى .
ثم أمر أن يُقطع لي أقبية ، ويرتاد لي منطقة مذهبية ، ففرغ من جميع
ذلك في تلك الليلة وأدخل بي إلى المأمون . وأمرني بملازمته وأجرى
لي انزالاً ورزقاً .

* *

الرشيد وطيبه

١٨ — وحدثنى أحمد بن أبي يعقوب قال حدثني أبي أن جبريل
ابن * بختيشوع : كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة
وبه فاقة شديدة ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر . فوقع الرشيد
في غشية لم يتقدّمها علّة . فاجمع الأطباء على أنه تالف ، وأخبر ابن
بختيشوع . فقال : ماله إلاّ علاج واحد وهو أن يحجموه . فقال محمد
الأمين : أخاف أن أخطر به . ثم قال : قد ايسنا منه والصواب أن
نمنحن هذا فيه . فاحضروا الحجّام فجمع الدم في أخدعيه^(٢) وهو
مستلق . ثم أخرج من دمه محجمتين . ففتح الرشيد عينيه واستدعى
طعامه وأكل ونام . فلما انتبه اقتصّ عليه المأمون ما جرى عليه [أمره
واذن] للداخلين في تهنته بالسلامة . فلما اكتملوا قال لهم :
يامعاشر الأمراء والأطباء انما ارتبطتكم لحراسة نفسي وقد حدث عليّ

حادث لم يغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام؟ ونصيبه مني
نزر ونصيبكم وافر فاعدلوا ميل المملكة بأن يجعل له كل رجل منكم
نصيباً من النعمى عليه، واحسانى اليه، حتى يكون له من جماعتكم
ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن الدفاع عني.

فتسرع الناس الى جبريل، فأعطوه الضياع والدور والا موال
وما برح حتى كان أيسر من في المملكة، وتربت النعمة لديه وولده حتى
وازت نعم الخلفاء.

١٩ - وحدثني عمرو بن محمد * بن عمرو بن عثمان عن أبيه عن عمرو بن عثمان
والرشيد جدّه . قال : كان لي مجلس في ديوان الانشاء قليل الجدوى على ،
وحالى حال لا تنهض بما يحتاج اليه المقتصد ، وقد لزمته عينا لا كفارة
لها في ترك النبيذ .

فكان جماعة الكتاب يجلسون ما جلس الوزير ، وهو يومئذ
الفضل * بن الربيع . فاذا انصرف الى منزله انصرفوا الى ما عقدوا
عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وحدي في الديوان الى ان يغلق .
فبكرت اليه في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير فيها الى
الشرب لتشاغل الرشيد في دعوة لزيدة * فلم يبق في ديوان الانشاء غيري .
فاني لجالس حتى دخل الى خادم من خاصّة الرشيد فأخذ بيدي
وأدخلني الى الرشيد . فلما مثلت بين يديه قال : اقرأ هذا الكتاب

فقراؤه فينته وأعربته . فقال : أجب عنه بين يدي . فأجبت عنه
 بأحسن معاني ، وأجود لفظ . فقال : اقرأ علي فقرائه . فقال لمسرور
 الكبير : « الف دينار » فجاء بها فقال ادفعها اليه وقل للفضل : « يصرف
 اليه ديوان الانشاء ، فهو أحق به ممن غادره » . ثم قال لي : « خذ
 هذا المال وسأنظرك في الوقت بعد الوقت ما يزيد في اصطناعي لك .
 فلا تقسد الغنى ما أصلحته الفاقة من حسن ملازمتك ، واستزدني
 أزدك » .

قال عمرو فاجتهد الفضل بن الربيع ان يشرك بيني وبين من كان
 يتولى الانشاء فلم يطلق له الرشيد ذلك . وأفردني به حتى فرقت
 الأيام بيننا .

خاتمة

قال أبو جعفر . قال بزرجمهر * : « الشدائد قبل المواهب ، تشبه
 الجوع قبل الطعام . يحسن به موقعه ، ويلذّ معه تناوله » .

وقال أفلاطون : « الشدائد تصلح من النفس بمقدار ما تقصد
 من العيش ، والتترف ^١ يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش »
 وقال : « حافظ على كل صديق أهدته اليك الشدائد ، وآله عن كل »

(١) التترف : من التّنعّم من الشّرفة بالضم .

صديق أهدته إليك النعمة . وقال أيضاً : « الترفه كالليل لا تنأمل فيه ما تُصدره وتتناوله ، والشدة كالنهار ترى فيها سميك وسعي غيرك »
وقال ازدشير : « الشدة كحل ترى به ما لا تراه بالنعمة » .

وملاك مصلحة الأمر في الشدة شيان ، أصغرهما قوة قلب صاحبها على ما ينوبه ، وأعظمها حسن تفويضه إلى مالكه ورازقه . وإذا صمد الرجل بفكره نحو خالقه علم أنه لم يمتحنه إلا بما يوجب له مثوبة ، أو يحص " عنه كبيرة ، وهو مع هذا من الله في ارباح متصلة ، وفوائد متتابعة .

فأما إذا اشتد فكره تلقاء الخليفة كثرت رذائله ، وزاد تصنعه وبرم بمقامه فيما قصر عن تأمليه ، واستطال من الخن ماعسى أن ينقضي في يومه ، وخاف من المكروه ما لعله أن يخطئه .

وانما تصدق المناجاة بين الرجل وبين ربه لعلمه بما في السرائر ، وتأنيده البصائر ، وهي بين الرجل وبين أشباهه كثيرة الأذية ، خارجة عن المصلحة .

ولله تعالى روح تأتي عند اليأس منه يُصيب به من يشاء من خلقه .
واليه الرغبة في تقرب الفرج ، وتسهيل الأمر والرجوع إلى أفضل ما تطاول إليه السؤل ، وهو حسي ونم الوكيل .

(١) التحيص : التخليص مما يشوبه .

تم الكتاب : والحمد لله وحده وصلاة على سيدنا محمد النبي وعلى
آله وعترته الطاهرين وسلامه



